المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة بالرياض

التقليد والتبعية

وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية

دراسة تاريخية تحليلية لأسباب تبعية الأمة الإسلامية وتقليدها لغيرها
وبيان نتائج ذلك ، ومواقف الناس منه

تقديم الطالب
ناصر بن عبد الكريم العقل

تقدم به لنيل الشهادة العالية بكلية الشريعة
في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عام ١٣٩٣-١٣٩٤هـ

بإشراف الدكتور
محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني
الأستاذ المساعد بالكلية

فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

المخطط الإجمالي للبحث

يشتمل هذا البحث على مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة أبواب ، وخاتمة :

١ ـ تقديم المشرف ومقدمة الباحث .

٢ ـ التمهيد : يبحث في واقع المسلمين في العصر الحاضر وفي الماضي قبل مرحلة الانفتاح ، وواقع الحضارة الغربية (الجاهلية) ، وتاريخ تقليد المسلمين للغرب ومراحله .

ثم موقف الإسلام من الحضارة الغربية وغيرها وكيفية الاستفادة من تلك الحضارات وآراء بعض العلماء والمفكرين في ذلك .

٣ ـ الباب الأول : يبحث في معاني التقليد في اللغة والاصطلاح وجانب التقليد في القرآن والسنة وكيفية معالجة الإسلام لهذه المشكلة وبيان الأمور التي ورد النص في النهي عن التقليد فيها .

٤ ـ الباب الثاني : يبحث في أسباب تورط الأمة الإسلامية في التبعية والتقليد الأعمى للكفار وتقسيم ذلك إلى أسباب داخلية وأسباب خارجية

٥ ـ الباب الثالث : يبحث في نتائج التبعية والتقليد وآثارهما في كيان الأمة الإسلامية .

٦ ـ الباب الرابع : يبحث في مواقف الناس في العالم الإسلامي من التبعية والتقليد الأعمى وانقسامهم إلى مؤيدين ومعارضين وما بينهما .

٧ ـ الخاتمة : تشتمل على خلاصة البحث وبيان طريق الخلاص من هذا المأزق .

المراجع .

الفهارس .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم لبحث

التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية

بقلم المشرف على البحث

د. محمد أبو الفتح البيانوني

الحمد لله الذي أنار الطريق لعباده المؤمنين فقال : « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أوصى أمته باتباع سبيل الله ، وحذرها من اتباعها السبل الأخرى فقال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ....» .

ورضي الله عن الصحابة والتابعين الذين استقاموا على الطريقة ، ونبذوا ما سواها من طرق وسبل ، فكانوا من المهتدين ....

أما بعد : فإنه من الحق المسلم به أن أمتنا الإسلامية اليوم قد حلّ

بها من الأدواء والمصائب ما أثقل كاهلها وناءت به ، حيث أعرضت عن دين الله ، واتبعت غير سبيـــله ، فولاها الله ما تولت ، ووصلت إلى ما وصلت إليه ....

وإذا أراد الباحث والمفكر أن يبحث علتها ، ويسبر جرحها فلا عليه إلا أن يرجع إلى أصول البلاء ، وجذور الشقاء ... ليكون تشخيصه صادقاً ، ودواؤه ناجعاً ....

وإني لأوافق الطالب الباحث كل الموافقة في نتيجة تشخيصه لعلة أمتنا ، وبيانه لأسباب ذلها وتبعيتها ، وأراه وُفِّق كل التوفيق في بيان دائهـــا ودوائها ....

وما أظن أجهزة التخطيط للقلوب والأدمغة ، إن استخدمت في تخطيط قلب الأمة الإسلامية ومخها ، إلا ستؤكد هذه النتيجة ، وتشير إلى أن العلة الكامنة في جسد الأمة إنما هو انحراف في خط سيرها ، وتحول من مراكز قيادتها وسيادتها إلى مهاوي التبعية والتقليد .....

وإذا كان من الصعب أن يصيب هذا التحول فرداً من الأفراد ، فما بالنا بتحول أمة بكاملها عن وظيفتها ومكانتها في هذه الحياة !!!

ولكن الذي يهون علينا الأمر ، ويبقي أملنا كبيراً في الشفاء ، هو تلك السنة الكونية القطعية العامة التي سنها الله سبحانه وتعالى — ولن تجد لسنته تبديلا — فقال :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .... » و « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..... » إذ بينت هذه السنة الكونية الداء والدواء ، ووأوضحت خط الصعود والهبوط في حياة الأمم والشعوب... وعلقت النتائج بالأسباب ...

وعسى أن تؤدي أمثال هذه الأبحاث النافعة وظيفتها في لفت الأنظار

إلى هذه السنة ، وفي تنبيه الأذهان إلى الداء وأسبابه وطرق علاجه ... فتنهض أمتنا على أيدي المؤمنين المخلصين الواعين من أبنائها من درك التبعية والتقليد وتعود إلى مراكز القوة والسيادة ..... مستبشرين بوعد الله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضي لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . . . . . . » .

ولا أنسى أن أنبه القاريء الكريم إلى أن بحثنا هذا عن التبعية والتقليد ... إنما هو بحث طالب ناشيء ، وباحث جديد ، بذل في إعداده جهداً مشكوراً ، وملك من الجرأة الصادقة فيه ما قل أن يوجد عند كثير من الباحثين ، وصبر على صعوبته ودقته مما يؤهله أن يكون في المستقبل إن شاء الله باحثاً عالماً تفخر به أمتنا ، وتتطلع إلى أبحاثه ومعالجاته من جهة والبحث جدير بأن يتغاضى عما فيه من عثرات أو زلات قلما يسلم منها الباحثون من جهة أخرى .

وأسأل الله سبحانه أن يأخذ بيده وأيدي زملائه إلى ما يحبه ويرضاه ، وأن يجعل بحثه هذا باكورة مباركة تبشر بالمزيد من الخير ، والله ولي التوفيق .... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ....

المشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

وبعد :

فقد وفقني الله لاختيار هذا الموضوع الذي يعالج (قضايا) التبعية والتقليد الأعمى للغرب (الكافر) وأثرهما في حياة المسلمين ، ويبين مدى (الورطة) التي وقع فيها العالم الإسلامي منجراء انبهارهم وانقيادهم (الأعمى) لحضارة أعدائهم الكفار — أهل الكتاب والمشركين — ومن جراء تقصيرهم في الأخذ بالنافع من الإنتاج العلمي العالمي .

وما نتج عن ذلك كله من الخطر والضرر الذي هدد كيانهم ، وهزّ وحدتهم كأمة لها عقيدتها وحضارتها ، وتاريخها ، وأخلاقها ، ومقوماتها الأصيلة .

. . . .

وكان هذا البحث من بين الموضوعات المقترح بحثها لطلبة كلية الشريعة ــ بالرياض ــ للعام الدراسي ٩٣ ــ ١٣٩٤ هـ .

وعنوانه في قائمة البحوث :

تقليد الأجنبي وأثره على الشخصية الإسلامية

وبعد الاطلاع على مراجع البحث ومصادره ودراسة بعض جوانبه استحسنت تغيير العنوان ومنهج البحث ــ بتوجيه من المشرف ــ وتبعاً لذلك غيرت العناصر الأساسية والمخطط المقترح في قائمة البحوث .

. . . .

والدافع لاختيار هذا الموضوع ــ بالذات ــ هو ما لمسته من أهمية معرفة هذا الداء العضال (التقليد الأعمى) في العالم الإسلامي كله وتشخيصه وخطر هذا المسلك (البليد) الذي مني به ، وأثره في الحياة الإسلامية .

. . . .

فكم عانت ــ ولا تزال تعاني ــ الأمة الإسلامية من مضاعفات هذا المرض الفتاك في كل نواحي حياتها : الفكرية ... والأدبية ... والأخلاقية ..... والسياسية ..... والاقتصادية .... والتربوية .... الخ .

لذا أحسست فعلا أن بحث هذا الموضوع (واجب) بالغ الأهمية ومشاركة فعالة في تشخيص أمراض الأمة الإسلامية ، وإسهام جاد في علاج هذه الأمراض .

ومن ثم فقد اقتنعت تمام الاقتناع بأن معالجة التقليد الأعمى للغرب (الكافر) وبيان أسبابه ... ودوافعه .... وآثاره وأخطاره .... وطريق الخلاص منه .... أكثر واقعية وإيجابية وأجدى نفعاً من معالجة كثير من الموضوعات النظرية الأخرى .

ولخطورة هذا الموضوع – كدت أحجم عن بحثه – وترددت كثيراً أول الأمر ، إذ أحسست أن معالجته ودراسته أمرٌ ينبغي أن أتركه لمن هم أقدر مني وأولى بمعالجة هذه المشكلة ، وأجدر بالاهتمام بها من العلماء ورجال الفكر الإسلامي .

إذ كيف أخوض – بجهدي الضئيل وزادي القليل – في هذا الموضوع الخطير ، والميدان الواسع ، فإنما أنا طالب مقصِّر وفي بداية الطريق فيجب أن أعطي القوس باريها .

وبعد التردد والاستشارة عزمت على أن أحاول – مجرد محاولة – لأن البحث إنما اقترح لنا – نحن الطلبة – لندرسه ونعالجه ... فالبحوث المدرسية إنما هي ميدان صغير للتدريب والتدرب ، فكان بحثي هذا – ولا يزال – مجرد محاولة صغيرة ..... وأرجو من الله العفو عن التقصير .

. . . .

ولعله من المناسب – في مقدمة هذا البحث – أن أشير إلى بعض المصطلحات التي سألتزمها خلاله ، والتي أرى (وجوب) التزامها لأنها ذات مدلولات إسلامية (أصيلة) ومحددة ، وذلك مثل :

إطلاق كلمة (الكفار) والغرب (الكافر) وأعني بهم الغربيين في أوربا وأمريكا والشيوعيين .

وكلمة (الحضارة الجاهلية) و (الكافرة) و (حضارة الكفار) إزاء الحضارة الغربية حضارة (القرن العشرين ! ! !) .

فالقضايا التي يتناولها هذا البحث ليست قضايا شرق وغرب إنما هي قضايا (كفر) و (إيمان) و (شرك) و (إخلاص) و (جاهلية) و (إسلام) .

وكذلك إطلاق كلمة (النصارى) بدل (المسيحيين) لأن الله سماهم

(النصارى) في كل المواقف ولأن كلمة (المسيحيين) ذات مدلول لا يقره الإسلام .

وكلمة (الجاهلية) تعني كل مبدأ أو نظام أو فكرة أو سلوك يغاير الإسلام ، أو الإسلام لا يقره ولا يرضى عنه الله عز وجل .

« أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون »

٥١ المائدة

وكلمة (المنهزمون) وهم دعاة (التغريب) والانحلال من أبناء المسلمين والذين ينعقون بكل ما هو غربي جاء من « الكفار » حيث بهرتهم الحضارة الجاهلية فتنكروا للإسلام وأهله .

وأما بالنسبة لكلمة (الشيوعية) فإني لا أراها تدل على غير نتاج يهودي غربي بحت .

وحين التزمت استعمال المصطلحات فما ذلك إلا لأنها في نظري إسلامية أصيلة تتناسب مع شخصيتنا الإسلامية المستقلة ، ومع مفاهيم ديننا ، وتصوراتنا ، وأفكارنا التي يجب أن تستمد من المصادر الإسلامية .

والتزام المصطلحات **الإسلامية** يشعر المسلم بالعزة والقوة والاستعلاء بالحق ، ويعطيه الحصانة من التميُّع (الفكري) فينفِّره من أعمال الكفر والكافرين .

فإن تمييع المفاهيم والمصطلحات الإسلامية قد أساء إلى الفكر والتصوّر الإسلاميين وساعد على اضمحلالهما بين الأجيال المسلمة ، وسهّل على كثير من المسلمين تقبل اصطلاحات غريبة عنهم ، ذات مدلولات خطيرة فأطلقوها على الإسلام أو نسبوها إليه .

ولا يفوتني أن أشكر أستاذي المشرف على هذا البحث : الدكتور محمد

عبد الله أبو الفتح البيانوني – على ما بذله من جهد وتوجيه ونصح ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

وأسأل الله التوفيق والإخلاص ، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم إنه حسبي ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

ناصر بن عبد الكريم العقل

كلية الشريعة

تمهيد

يشتمل على الفقرات التالية :

- واقع المسلمين اليوم .
- فساد الحضارة الجاهلية الغربية .
- تاريخ تقليد المسلمين للغرب الكافر . . . ومراحله .
- حالة العالم الإسلامي قبل مرحلة الانفتاح والتقليد .
- موقف الإسلام من الحضارة الغربية الجاهلية والحضارات الأخرى .
- أقوال بعض العلماء والمفكرين المسلمين في التقليد وكيفية الاستفادة من الغرب .

واقع المسلمين اليوم

يبدو لي أنه ليست هناك ضرورة لتفصيل ما وصل إليه المسلمون من الانجراف في تيار التقليد — البليد — وبيان الآثار والنتائج المؤلمة التي نجمت عن ذلك ، فهذا أمر ما زلنا نعيشه ونعانيه ... أمة وأفراداً ... دولاً ومجتمعات ...

ولهذا فسأقتصر على عرض لمحة موجزة عن ذلك :

فإن حياة المسلمين اليوم قد اصطبغت — من كل جوانبها — بالصبغة الجاهلية صبغة الحضارة الغربية الكافرة في الفكر والتصور والاعتقاد . في التربية والتلقي والتعليم والثقافة ... في السياسة وأنظمة الحكم ... في الاقتصاد ... في كل شيء !!!

يقول الأستاذ سيد قطب — رحمه الله — في ذلك : —

« فأما نحن الذين نزعم أننا مسلمون ، فأرانا نتلقى في صميم فهمنا لقرآننا وحديث نبينا — صلى الله عليه وسلم — عن المستشرقين وتلامذة المستشرقين ! وأرانا نتلقى فلسفتناو تصوراتنا للوجود والحياة من هؤلاء وهؤلاءومن الفلاسفة والمفكرين : الإغريق والرومان والأوربيين والأمريكان ! وأرانا نتلقى نظام حياتنا وشرائعنا وقوانيننا من تلك المصادر المدخولة ! وأرانا نتلقى قواعد سلوكنا وآدابنا وأخلاقنا من ذلك المستنقع الآسن الذي انتهت إليه

الحضارة المادية المجردة من روح الدين .... أى دين .... ثم نزعم — والله — أننا مسلمون ! وهو زعم إثمه أثقل من إثم الكفر الصريح فنحن بهذا نشهد على الإسلام بالفشل والمسخ . حيث لا يشهد عليه هذه الشهادة الآثمة من لا يزعمون — مثلنا — أنهم مسلمون ! »(١)

فنحن نرى الآن أن السيل بلغ الزبى ، فبلغنا — في تقليد الغرب الكافر — مبلغاً يندى له الجبين ؛ إذ أخذنا عنهم كل رذيلة ومنقصة ، وتعلقنا منهم بكل ما هو ضار ومخزٍ .

أخذنا الاستهتار بالأخلاق ... والقيم ... والدين ... ! !

وأخذنا الجشع والأنانية ... والخداع والتحايل والمكر ... والخيانات ! !

وأخذنا الربا ... والاحتكار ... ! ! .

وأخذنا الميوعة ... والتبرج ... والسفور .... والفجور ... والتخنث ! !

ثم الذل والصغار ... والتبعية السياسية والاقتصادية .... والثقافية والفكرية ! !

وتركنا كل ما هو نافع وبناء ... ومفيد .... من إنتاج أولئك في شتى المجالات والعلوم والتجارب .... والإبداع البشري — مما أحله الله — ...

(١) في ظلال **القرآن** — من تفسير سورة آل عمران — المجلد الثاني من الطبعة السادسة ص **٢١** .

فساد الحضارة الغربية الجاهلية

فساد الحضارة الغربية الجاهلية أمر لا يماري فيه عاقل ، فإن ذلك أصبح الآن واقعاً لا يحتاج إلى براهين .

فإن تلك الحضارة إنما قامت على أسس جاهلية علمانية ، ولم تحظ من البداية بالزاد الروحي ، أو مباديء الأخلاق الفاضلة البانية .... فقد شقيت بها البشرية ، وحطمت القيم وهدمت الأخلاق ، وأهدرت بوسائلها الفضيلة ، وضاعت على يديها كرامة الإنسان ، وفي كنفها عاشت ونمت الرذيلة والفواحش وعمت السيئات وساد القلق والانحراف وكثر الشقاء والأمراض النفسية والعصبية ، والخواء الروحي .... ومن ثم الانتحار ... ! ! .

وعلى يدي هذه الحضارة وبوسائلها اضطهدت الشعوب ، واحتلت الأوطان ، وتسلطت العنصريات المقيتة ، وبرزت القوميات الضيقة ، واشتعلت الحروب العالمية والدولية ، وعبثت الصهيونية بمصالح البشر ، وباختصار ... أبعدت البشرية عن الله ومنهجه القويم ، وسارت بها في طريق الجحيم ... وكفى بذلك فساداً... ! !

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي في وصفه الحضارة الغربية الجاهلية !

« حضارة نشأت في أحضان المادية الخالصة ، هذه الحضارة قد أسست حكمتها النظرية والعملية على قواعد خاطئة ، وقد جرت فلسفتها وعلومها

وأخلاقها واقتصادها واجتماعها ، وسياستها وقانونها .... وبالجملة كل ما يتصل بها ، قد جرى كل ذلك من نقطة انطلاق منحرفة ، وبدأ يخطو ويرتقي من وجهة غير صحيحة ، حتى انتهى إلى مرحلة نرى فيها نهاية هذه الحضارة وهي الهلاك قريباً » .

هذه الحضارة انبعثت في أمة لم تكن تملك في الحقيقة نبعاً صافياً طيباً من الحكمة الإلهية »(١)

(١) نحن والحضارة الغربية – لأبي الأعلى المودودي ص ٣٨ – ٣٩ .

تاريخ تقليد المسلمين للغرب (الكافر) ومراحله

بداية التقليد :

أما بداية التقليد ، فمن الصعب تحديدها التاريخي بدقة ، لأن ذلك يرجع إلى عوامل ومؤثرات كثيرة ومختلفة ، لا يمكن أن تتفق بدايتها بزمن واحد .

وعلى العموم فإنه منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي ـ الحادى عشر الهجري ـ بدأت أوربا النصرانية تخطو خطوات حثيثة في ميادين الاختراعات والاكتشافات العلمية والصناعات وأساليب الحروب والعلوم الإنسانية والمدنية والعمرانية .... متأثرة بآخر حلقات المدنية الإسلامية في الأندلس والشرق الإسلامي وبادئة من نهاية الحضارة الإسلامية المجيدة ...!!

وفي هذه الآونة كان ما يسمى (العالم الإسلامي) يغط في سبات عميق تحت وطأة الجهل ...والجمود ...والركود ...والفرقة ... ففجأة بدأ الشعور لدى المسلمين ـ بعد تخليهم عن مركز القيادة العالمية ـ بالضعف .... والانهزامية ... والذلة أمام (الفتوحات) العلمية الحديثة ، ومن ثم نما فيهم الشعور بالحاجة لتقليد (الغرب الكافر) الذي وجدوه قد سبقهم خطوات في كثير من شئون (الحياة الدنيا) .

فبدأت موجة التقليد جلية حين دبّ الضعف والوهن في الخلافة العثمانية وتكالبت قوى الهدم لتقويضها ـ في الداخل والخارج ـ ..... وحين

شعرت هـــذه الدولة الضعيفة بالنقص أمام الدول النصرانية الفتية اتجهت الدولة العثمانية إلى تقليد تلك الدول وأخذت من إنتاجها الجديد ...! وقد وافق هذا — شلل — في التفكير لدى المسلمين وبعد عن منهج الله الأصيل ، فاستمدت من الكفار دون وعي أو إدراك أو تفكير في أسباب تقدم تلك الدول الكافرة واللحاق بها بالجد والاعتماد على القوة الذاتية ، والجهود المسلمة ... ! .

وبالتحديد فإن أول مظاهر هذا التقليد في الدولة العثمانية اتجاه السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ — ١٨٠٧ م) — إلى تنظيم الجيش الإسلامي على النظم الأوربية الحديثة(١) !

وبعده سلك — محمد علي — بمصر (١٨٠٥ م) نفس المسلك فأنشأ جيشاً على النظام الأوروبي .... ثم استغرق في الإنشاءات في ميادين التعليم والهندسة والطب وسدّ احتياجات الجيش بالاستعانة — المطلقة — بالأوربيين وإرسال البعثات الطلابية (٢) إلى الكفار (في أوربا) ، فنقل هؤلاء — المبتعثون — الإنتاج الغربي الجاهلي بحذافيره دون تفكير في صلاحه أو فساده ...ودون تقييم أوتعديل ... ودون مناقشة أو إبداع ... بل لم يحاولوا تحويره وإخضاعه لمقتضيات دينهم وتراثهم وحضارتهم ... وأخلاقهم !! بل ولا مراعاة طبائع شعوبهم — الإسلامية — التي تختلف ظروف حياتها عن حياة الكفار أصحاب ذلك الإنتاج ، مما جعل هذا الاتجاه إلى (التطوير!!) يصطبغ بالصبغة الإفرنجية الجاهلية بأفكارها وثقافتها وفلسفتها وتصوراتها وأنماط سلوكها ، بل بأزيائها .... وخلاعتها .... وفسادها ..!!

ولا ننسى — قبل ذلك كله — الحملة الفرنسية التي قام بها نابليون في عام ١٧٩٨ من أثر في الشرق الإسلامي ... حاملة معها أحدث أدوات

(١، ٢) انظر كتاب « الإسلام والحضارة الغربية » لمحمد محمد حسين ص ١٢ — ١٣ .

لإنتاج الغربي وأساليب الحياة الغربية الجاهلية ، مما بهر المسلمين في مصر والشام .

هكذا بدأت موجة **(التقليد الأعمى)** قوية عارمة تدفعها – بحمق ، وعنف – الأهواء والانحرافات في الداخل ، والجهود الماكرة المخططة من الخارج .... فأخذت البلاد الإسلامية تسلك هذا الطريق واحدة تلو الأخرى، ابتداء من تركيا فمصر والشام ثم تونس وإيران والهند .

والعجيب أن كل اتجاهات التقليد في العالم الإسلامي بدأت بالإحساس بالضعف العسكري والحاجة إلى تنظيم الجيوش في البلدان الإسلامية (١) ومن ثم نشأت عقدة الإعجاب بكل ما هو غربي وافد من بلاد الكفار مهما كان فاسداً وتافها ، واحتقار كل ما هو شرقي مهما كان صالحاً وعظيماً .

ذلك لأن المسلمين بدأوا حياتهم الجديدة من نقطة انحرافهم عن منهج الله – فلم يراجعوا الإسلام ويحكّموه فيما يقتبسون من غيرهم – وقد اقتبسوا كل شيء ونسوا أن الإسلام يفرض عليهم أن يأخذوا بأسباب التقدم العلمي ... بجهودهم الخاصة لأنهم هم الأمة الوسط القائمة على الحق والعدل في العالم ... ويحرم عليهم أن يكونوا عالة على الكفار كما هو الواقع اليوم ....

ويمكن أيضاً أن نحدد على سبيل التقريب تاريخ بداية التقليد في كل بلد من البلاد الإسلامية بتاريخ احتلالها ، فإن كثيراً من البلاد الإسلامية فرضت عليها الحياة الغربية فرضاً على يد المحتلين ، كما حصل في بلاد المغرب : تونس والجزائر والمغرب وليبيا ... ونحوها .

---

(١) يراجع كتاب « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » لأبي الحسن **الندوي** وكتاب « الإسلام والحضارة الغربية » ص ١٣ .

مراحل التقليد

المرحلة الاولى
مرحلة الانفتــاح والانبهار

يبدو من الواضح في بداية اتصال العالم الإسلامي بالغرب الكافر أن موجات الدعوة إلى التقليد والتغريب لم تصل في خطورتها إلى التعرض لأصول الإسلام وتشريعاته ، أو تناقضها (١) بل كانت تطلب قوة السلاح والتنظيم العسكري لجيوشها للدفاع .... وتطلب تنظيم مصادر قوتها لتعيش مع الأمم .

وفي هذه المرحلة كان التدرج الماكر في غزو عقيدة المسلمين .... وشريعتهم ، وأخلاقهم وثقافتهم ، بطيئاً وحذراً ... ! ! مما جعل الكفار في هذه المرحلة وبفضل هذا الأسلوب يكسبون (عملاء) من كل نوع قاموا بدورهم كما أريد لهم من حيث لا يشعرون خاصة في هذه المرحلة مرحلة الانبهار .

وكانت دوافع (المستغربين) من أبناء المسلمين في أول الأمر أكثرها دوافع بريئة ساذجة ــ وطيبة أحياناً ــ ... وهي طلب القوة والتقدم للمسلمين وأخذهم بأسباب النهضة والرقي ... ليلحقوا بركب الأمم ، ويتخلصوا من الضعف ، والفقر ، والجهل ، والمرض .. !

---

(١) وهذا إنما هو بتخطيط ماكر من الكفار حيث ادركوا واستفادوا من التجارب التاريخية أن التعرض المباشر للعقيدة والشريعة الإسلامية يهدد كيانهم فضلا عن تهديد مصالحهم .

لذلك كانت مباديء الإسلام في هذا الطور هي الميزان في كثير من الحالات ، وكان مبدأ القبول والرفض ملتزماً بالشريعة والمفاهيم والأخلاق الإسلامية .... وكان كل ذلك شيئاً له وزنه إلا أن المسلمين ينقصهم الوعي البصير ، والعزيمة الصادقة لتطبيق المنهج الإسلامي المتكامل ... فبدأوا من حيث انتهى أسلافهم الأقربون ... فمثلا نجد ـ **الطهطاوي وخير الدين التونسي** ـ وهما اللذان بدأا الدعوة للتغريب كانا يكثران من الاحتجاج بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة لما يدعوان إليه من (تقليد) الغرب في بعض الجوانب .

وكانت نقطـــة البدء في تفكيرهما ودعوتهما للتطور وتقليد الكفار هي التماس الوسائل لقوة المسلمين ـ رغم ما حصل منهما من تطرف في سبيل ذلك ـ إذ أن حماسهما الذي دفعهما إلى محاولة « إخضاع » الشريعة الإسلامية لتوافق ما عليه الكفار نابعٌ من انبهارهما وإعجابهما بما شاهداه من مظاهر الحياة الغربية (١)

وكانت الجهود الإسلامية لصد تيار التقليد الأعمى للكفار في هذه الآونة مجرد صيحات متفرقة من هنـــا وهناك . . فما كانت منظمة ولا مركزة ولا واعية ، ولم تتبنها دولة تقوى بها ، مما هيأ الظروف لأن يحتل الكفار البلاد الإسلامية .

---

(١) انظر « الإسلام والحضارة الغربية » لمحمد محمد حسين ص ٥٠ .

المرحلة الثانية
مرحلة «الاحتلال» المباشر

إنه من الطبيعي في واقع الحضارة الغربية الجاهلية التي قامت على أسس منحرفة أن تسعى للتوسع الوحشي والسيطرة الفكرية والسياسية والاقتصادية على الشعوب الأخرى – غير الأوربية – حيث قامت تلك الحضارة على استخدام طاقات الأرض لمصالحها ، وتسخير الشعوب لخدمة أصحابها الغربيين الكفار ... وحيث قامت على أسس لا أخلاقية ومنحرفة ، تحمل نوايا أصحابها – اليهود والنصارى والمشركين والملاحدة – من الجشع والأنانية والعنصرية ، والقومية الجاهلية ، والأثرة ، وحب السيطرة وإشاعة الفحشاء والمنكر والبغي والتي تحركها الدوافع – الصهيونية اليهودية والصليبية الحاقدة –

فكان همها احتلال الشعوب واستغلال خيراتها وفرض حياة « الشقاء » عليها لتسعد هي ، وأنى لها السعادة بغير هدي الله ! !

وكان نصيب العالم الإسلامي الجاثم على أكثر رقعة المعمورة أكبر نصيب من قسوة هذا الاحتلال ووحشيته وامتصاصه للدماء ، فلم يدع الكفار هذه البقاع الإسلامية إلا حين وثق من ربطها لتدور في فلك الغرب الجاهلي .

ففي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ... حين كانت الحضارة الغربية الجاهلية في أوج عزها ، كان العالم الإسلامي — ممزقاً — بين دول الكفر الغاصبة ....

فاحتلت هولندا : أندونيسيا .

وبريطانيا : الهند ومصر والعراق والخليج والسودان .

وروسيا : أواسط آسيا ....

وفرنسا : بلاد المغرب والجزائر .

وإيطاليا : ليبيا ...

وبهذا الاحتلال المباشر تشابكت الصلات بين العالم الإسلامي والكفار الغربيين ووقع المسلمون في أحضان الحضارة الجاهلية ....

وفي هذه المرحلة دخل المسلمون في طور جديد وغريب — وخطير — فانقلبت كل أوضاعهم الفكرية .... والسياسية ... والأدبية ... والاقتصادية والأخلاقية . . . . انقلاباً خطيراً ومؤلماً ففرضت عليهم حيـــاة الكفار وحضارتهم ... ومن ثم استحدثت في العالم الإسلامي أحوال وقضايا ومشاكل وحلول كلها مستمدة من واقع الحضارة الجاهلية ، في حين أن المسلمين — ببعدهم عن منهج الله — كانوا أكثر قبولا للتقليد والانهزامية .

والاحتلال المباشر أتاح الفرصـــة لكثير من الجاليات والشخصيات والأسر الكافرة أن تعيش بين ظهراني المسلمين ، مما كان له أكبر الأثر على حياة العامة الذين يفقدون الشخصية الإسلامية القدوة ، حين تأثروا — عن إعجاب وانبهار — بسلوك الغاصبين وأخلاقهم ، وأسلوب حياتهم الملوثة واستمدوا من ثقافتهم المنحرفة كما هي العادة والسنة الإلهية في تقليد المغلوب للغالب ، وانهزامية الضعيف المستعبد أمام القوي المتجبر (١) مهما حمل من سوء الخلق وانحراف السلوك وفساد المنهج .

---

(١) انظر تفصيل هذا في مقدمة ابن خلدون فصل « تقليد المغلوب للغالب » ص ١٤٧ .

فكانت هذه المرحلة هي أنكد وأصعب مرحلة مرّ بها المسلمون في تاريخ الإسلام الطويل، لأنها كانت بمثابة محاولة التصفية الشاملة للإسلام!!.. عن طريق السياسة والقهر.

ومع أنهـا سياسة فشلت في تحقيق الهدف المباشر لتصفية الكفار للإسلام إلا أنها كانت تجربة – قاسية – استفاد منها الكافرون في مراحل تصفية المسلمين التي تلت، والتي نعيشها الآن « **والله متم نوره ولو كره الكافرون** »(١)

ومن المؤسف – حقاً – أن المسلمين لم يوفقوا للاستفادة من تجربة تلك المرحلة، فقد دفنت مع أصحابها.

(١) سورة الصف « ٨ ».

المرحلة الثالثة

مرحلة ((الانصهار)) في بوتقة الغرب

وهذه المرحلة هي النتيجة الطبيعية للمرحلتين السابقتين إذ أنهما تمثلان مرحلتي الصراع المباشر بين أمتين ... أمة تحمل السلاح والعلم والاكتشافات والجبروت ... والجشع والانحراف الخلقي .... إلخ ... وأمة عزلاء مغلوبة على أمرها لا تملك إلا بقية موروثة من خلق وعقيدة ... أمة تخلت عن رسالتها وعن المنهج الذي رسمه الله لهـا .... وتنكبت الصراط المستقيم !

فانتهى هذا الصراع بالمرحلة الثالثة مرحلة (**الانصهار في بوتقة الغرب الكافر**) والسقوط في أحضان الجاهلية الأوربية .

وفي هذه المرحلة استطاع الغرب الكافر أن يتسلم القيادة والتوجيه – في العالم الإسلامي – لشتى المجالات ، وأن يثبت أولياءه وعملاءه في مراكز القيادة والتوجيه والإدارة ... ليتحكموا في مصائر الشعوب كما يريد أولئك الأسياد ! .

ففي المجال السياسي : سلم القيادة والحكم – في البلدان التي احتلها ثم استقلت ! ! – إلى الأفراخ التي رباها في أوكاره .. إلى من يرضاه ويسير مع الركب الجاهلي ويؤدي المهمة في تحطيم **الجهود** الإسلامية والشعبية

التي تهدد مصالح الأسياد في المنطقة ! ويستسلم للأحكام والحلول الجاهلية التي تراها الدول الكبرى – الأعظم كفراً بالطبع – والتي لا يرضاها الإسلام ولا يقرها المسلمون .

فحين خطط الكفار لثورة حسني الزعيم – في الشام – كانوا قد أخذوا عليه – أو توقعوا منه أن يخدم مصالحهم – (١) – وبعد الثورة لم يحقق آمالهم حيث وجدوا عنده ميلاً إلى المصالح الشعبية على حساب مصالحهم مما جعلهم يفكرون في تسليم القيادة إلى عملاء ترتبط مصالحهم – بل حياتهم – بمصالح الأسياد ، كما حصل – فعلاً – بمصر حيث نجحت التجربة – اللعبة (٢) – بتخطيط من المخابرات الأمريكية على يد الضباط الأحرار ... ثم سارت القافلة بعد ذلك في كثير من الدول العربية والإسلامية ، على أنماط مختلفة من العملاء تتنوع عمالتهم بحسب المصالح والظروف والمناسبات (٣) حتى اختلط الأمر على الشعوب الإسلامية التي غلبت على أمرها وعوّدها المحتلون الكفار كيف تطبل للحكام وتبارك المسيرة . .

وفي المجال الاقتصادي : تحكمت المصالح والمؤسسات الغربية الكافرة – وعلى الأخص المؤسسات الصهيونية اليهودية – بالاقتصاد العالمي واستنزفت طاقات وثروات الأمم ، خاصة الشعوب الإسلامية .

واستبدلت – في العالم الإسلامي – المعاملات والأحكام والنظم الاقتصادية الإسلامية – المستمدة من الشريعة – بأنظمة اقتصادية جاهلية اشتراكية أو رأسمالية ، ومن ثم توقف الاجتهاد والنمو التشريعي الفقهي لدى المسلمين ، حتى ادعى المنهزمون أن النظم الاقتصادية الإسلامية قاصرة !

(١ ، ٢) انظر تفاصيل ذلك كله في كتاب « لعبة الأمم » لمايلز كوبلاند .

(٣) انظر لعبة **الأمم** لمايلز كوبلاند .

وعتيقة ، وغير محيطة بالأحكام والمعاملات والمشكلات الاقتصادية الحديثة .

وقس على هذا شتى مرافق الحياة لا سيما : التربوية ، والعسكرية ، والفكرية والثقافية ، والأدبية .... الخ .

وهكذا ... ترك المسلمون مقومات عزهم ومجدهم ، وتخلوا عن رسالتهم العالمية بتخليهم عن منهج الله ودينه الذي ارتضى لهم ، فزالت دولتهم ، وضاعت شخصيتهم ... ومن ثم سلّموا القيادة العالمية للكفار غير شاعرين أو مبالين بالعواقب الوخيمة التي نجمت عن ذلك فتركوا البشرية تقاد إلى الجحيم « **وكفى بذلك إثماً مبيناً** » .

حالة العالم الاسلامي قبل مرحلة «الانفتاح» والتقليد

من المعروف أن الحضارة الإسلامية — بما فيها من إبداع ومرونة وحيوية ووعي وتجديد ، قد بدأت منذ القرن الثامن الهجري الانحسار ، وبدأ المسلمون الابتعاد عن منهج الله ، وحقيقة الإسلام ، — كنظام شامل للحياة — . . . وفي القرن العاشر وصلت الأمور إلى حالة الركود القاتل والتواكل والجهل المطبق وتبلدت الأوضاع كلها ... ويمكن تصوير ذلك في جوانب الحياة عامة باختصار :

— العقيدة والتصور الإسلامي

انتقلت العقيدة والتصور الإسلامي — في هذه العصور — من الصفاء والوضوح والإيجابية والتأثير ، إلى فلسفات ومتون وحواش وبدع وخرافات وسلبيات وتراتيل منحرفة عن عقيدة الإسلام المحفوظة الصافية ... وذلك بتأثير الآراء الفلسفية التي وفدت وتسللت — عبر القرون — من أنقاض الجاهليات الفارسية واليونانية ، فانشغل المسلمون بالخلافات المذهبية ... والطرق الصوفية ... والمناظرات والجدل ... وحفظ المتون والاستفاضة في الشروح على كتب العقيدة ... حتى ضعفت عقيدتهم وساء تصورهم .

تحول الفكر الإسلامي والاجتهاد الفقهي من المرونة والإبداع والتجدد والنمو إلى الجمود والتحجر والانحسار والضيق .

فاختلف الأمر عما هو عليه في القرون الإسلامية الأولى حين كان السلف الصالح يحلون المشكلات والقضايا العالمية التي واجهتهم — إبان الفتوح وبعدها — بوعي وبصيرة من دينهم وإدراك لمصالح البشرية فبنوا حضارة مشرقة ، وشيدوا مدنية شامخة عملاقة قروناً طويلة إلى ما بعد القرن الثامن الهجري — تقريباً — وبعد ذلك انحسر ذلك المد الصافي فانتقل الفقه من الحالة الإيجابية البناءة ... إلى التوقف والسلبية بسبب تخلي المسلمين عن أصول الإسلام وترك الاستمداد من مصادره الصافية .

فتعطلت في هذه الفترة — وما بعدها — ملكة الاجتهاد والاستنباط الفقهي — لدى العلماء المسلمين — وأخذوا يعيشون على حفظ المتون ... والتقيد بالفروع واشتغلوا بالشروح ، وشروح الشروح ... والتعليقات ..الخ مما أبعدهم عن أصول التشريع الإسلامي... وحلّ المشكلات والقضايا التي يواجهونها وتتجدد في حياتهم على ضوء هذه الأصول ... فبدأت مرحلة الانفصال بين الحياة وبين الإسلام في واقع المسلمين — الذي زادت منه وباركته جهود الكفار في الداخل والخارج .

ومن ثم وقعت الشعوب الإسلامية في فراغ .... وركود .... واتكالية وتبلد .... مما جعلها تتهيأ للانهزامية .... والتبعية للكفار ... وهذا ما حدث — فعلا — ولا يزال ولن يزال حتى ترجع الأمة الإسلامية — بصدق — إلى دين الله ومنهجه القويم .... فتطبق الإسلام منهجاً كاملاً لحياتها .

العلوم الطبيعية والإنسانية

فحين انشغل العلماء والمتعلمون — في القرون الأخيرة — بالكلام والجدل والمناظرات — كما عرفنا آنفاً — انحسرت العلوم الإنسانية لتوقف التجديد

والابتكار والابداع الذي يأمر به الإسلام ، فانحسرت علوم الطب والرياضيات كالحساب والهندسة .... والجبر ، والفيزياء ، والكيمياء ، وعلوم الفلك ، والأدب من نثر وشعر وكتابة وخطابة .... ومثله الحرف والصناعات والتعمير والإنشاءات المدنية والمهنية ... فساد ضيق التفكير والجهل والبطالة على العموم .

الحالة الاقتصادية

وكانت الحالة الاقتصادية في حالة يرثى لها فأصابها الفقر والعوز والجهل والبطالة والكسل والشلل العام في شتى المرافق الاقتصادية ، وحيث ضعف الاستمداد الفقهي والتشريعي من الشريعة الإسلامية ... لم تجد الأمة الإسلامية نظاماً اقتصادياً – شاملا – يفي باحتياجاتها ويصرف طاقاتها وإنتاجها ... وينظم الحياة الاقتصادية ويسير خيرات البلاد نحو التنمية والعمران .

. . . .

أما الحالة السياسية والتربوية فلم تكن أحسن وضعاً مما مضى إلا أنها لم تخرج آنذاك من دائرة الإسلام ، وكان ولاؤها كله للإسلام إلى أن أسقطت (الخلافة الإسلامية) فتحول النهج إلى غير الإسلام ... والولاء إلى غير الله ...

موقف الإسلام من الحضارة الغربية
وغيرها من الحضارات الجاهلية الأخرى
وكيف تكون الاستفادة من هذه الحضارات

إن الحضارة الغربية — حضارة اليهود والنصارى والمشركين — وغيرها من الحضارات الجاهلية الأخرى ، فيها الشر والخير ، والضار والنافع ... إلا أنها بنيت على أسس الضلال والانحراف ... فكان خيرها ضئيلا بإزاء شرها ....

وحين تولت قيادة البشرية سارت بها إلى الشقاء والهلاك والدمار في الدنيا ، والنار في الآخرة ... وأصبح ما فيها من خير ونفع لا يساوي شيئاً بالنسبة للضرر .

فهذا الخير والنفع الذي تشتمل عليه ... هو الذي يجب أن يستفيد منه المسلمون دائماً ...

فالحضارة الجاهلية الغربية اليوم ، تشتمل على ما يمكن أن يستفيد المسلمون منه إذا أحسنوا اقتباسه ، وصبغوه بالصبغة الإسلامية ... من العلوم الإنسانية .... والاكتشافات العلمية ، والصناعات ، وبعض الاصلاحات المدنية والعمرانية والإدارية ونحوها ... مما هو من شئون الدنيا البحتة .

والاستفادة من الحضارة الغربية الكافرة وغيرها على ثلاثة أنواع : —

الأول : الاستفادة من الصناعات وأصولها والاكتشافات العلمية ... والعلوم التجريبية والعسكرية والطبيعية ... كالرياضيات والكيمياء والفيزياء.. والهندسة ... والأحياء والفلك بعد أن تمحص وتصفى من شوائب المؤثرات الجاهلية ... وتصاغ بقوالب اسلامية صافية ... فهذه الأمور ما بين :

واجب(١) أخذه واقتباسه ، وهو ما يحتاجه المسلمون حاجة ماسة ... أولا تقوم بعض الواجبات إلاّ به ... كالسلاح ... والنظم العسكرية .... في مجالات الدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله ... فكل ما يحتاجه المسلمون — من المباحات — في هذا المجال فيجب أخذه والاستفادة منه ... والمسلمون أحق به .

كذلك ما يتحقق به قيام الدول الإسلامية — من الوسائل المباحة — مع التحفظ الكامل والوعي التام ... يجب الأخذ به ... وإلاّ فتركه أولى .

أو مباح(٢) وهذا قليل لأن الله أوجب على المسلمين الأخذ بالأسباب والحيطة للاكتفاء والاستغناء عما في أيدي الكفار أياً كان ... فالمباح من إنتاج الحضارات هو : ما لا يكون للمسلمين فيه حاجة ضرورية مما ذكرت آنفاً .

الثاني : التقليد في العبادات والعقائد والمبادئ والمفاهيم والتصورات والآراء الفلسفية ... حول الكون والحياة والإنسان ... والتي تتصل بالعقيدة.. فهذه الأمور لا تفصيل فيها ... فهي محرمة قطعاً ، والاستمداد فيها من الكفار ردة أو كفر إذا اعتقد المقلد صحتها ودان بها ... وعلى الأقل تكون حراماً مع جهل حقيقتها .

---

(١) أفدت في بعض هذه الأحكام من مجلة (المنار) لمحمد رشيد رضا — المجلد الأول ص ٥٥١ — ٥٥٣ .

(٢) مجلة (المنار) لمحمد رشيد رضا — المجلد الأول ص ٥٥١ — ٥٥٣ .

الثالث : التقليد في الأخلاق وأنماط السلوك والآداب والثقافة والفكر ، والإنتاج الفني ، ونحو ذلك ... فهذه الأمور لا تخلو إمّا أن تتعارض مع أصول الإسلام وقواعده أو توقع فيما نهى الشارع عن تقليد الكفار فيه ... فهذا أمر محرم ... أو تكون مما يجهل أمره وحكمه فهو على الأقل مكروه ... أما الشيء الذي يعتبر فضيلة – في تلك الحضارة – وما أقله – فقد يكون مباحاً .

آراء وأقوال لبعض العلماء والمفكرين المسلمين

حول «التقليد» وكيفية الاستفادة من الحضارة الغربية

الإمام أبو حامد الغزالي

يقول في كتابه « إحياء علوم الدين » :

« العلوم الدنيوية البحتة يجوز أخذها واستمدادها من أي مصدر .. بل يجب إذا احتاج إليها المسلمون ، فقد يكون تعلمها فرض كفاية متى توقفت عليها حاجة المسلمين .

فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى : ما هو محمود وإلى : ما هو مذموم وإلى ما هو مباح ... فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب ، وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة ... أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغني عنه في قوام أمور الدنيا كالطب(١) » .

الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

يقول : « وإني أرى أنه لا ينبغي لأهل الأقطار العربية أن يقتبسوا من عناصر المدنية الغربية اقتباس التقليد ... بل اقتباس التحقيق ، بعد أن يعطوا كلّ شيء حقه من التمحيص ...

---

(١) إحياء علوم الدين ، الجزء الأول ص ١٧ طبعة عام ١٣٧٧ هـ .

فإن التقليد لا يكون طبيعة إلا في الطبقات المنحطة ! !

على أننا لا نريد من ذلك ألاّ نأخذ من القوم شيئاً ... فإن الفرق بعيد بين الأخذ من العلوم والمخترعات وبين الأخذ من زخرف المدنية وأهواء النفس ... وفنون الخيال ورونق الخبيث(١) » .

الإمام حسن البنا

يقول : « من الحق أن نعرف أننا بعدنا عن هدى الإسلام وأصوله ، وقواعده ، والإسلام لا يأبي أن نقتبس النافع ، وأن نأخذ الحكمة أنّى وجدناها ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء ، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه ... لنجري وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين(٢) » .

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

يقول : إن كان هناك شيء ينبغي ويستحق أن تأخذه أمة عن الأمم الأخرى فإنما هو نتاج أبحاثها العلمية ، وثمرات قواها الفكرية ، ومعطياتها الاكتشافية ومناهجها العلمية التي تكون قد بلغت بها معارج الرقي في الدنيا .

إن أي أمة في الأرض إذا كان في تاريخها أو في نظمها الاجتماعية أو في أخلاقها درس نافع ... فمن الواجب أن نأخذه منها ، ومن الواجب أن نستقصي أسباب رقيها وازدهارها بكل دقة وتمحيص ، ونأخذ منها ما نراه ملائماً لحاجتنا وظروفنا ...

ولكننا إذا أعرضنا عن هذه الأمور الجوهرية ورحنا نأخذ من أمم الغرب ملابسها وطرقها للمعيشة وأدواتها للأكل والشرب ، بزعم أن فيها السر لنجاح تلك الأمم ورقيها فلا يكون ذلك إلاّ دليلا على غباوتنا وبلادتنا

---

(١) وحي القلم الجزء الثالث ص ٢٠٣ الطبعة الثامنة .

(٢) رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ص ٣٠٧ طبعة دار الأندلس .

وحماقتنا ... فهل لأحد عنده العقل أن يعتقد أن كل ما أحرزه الغرب من التقدم والرقي في مختلف حقول الحياة ... إنما أحرزه بالجاكيت والبنطلون وربطة العنق والقبعة والحذاء ؟ ! أو أن من أسباب رقيه وتقدمه أنه يتناول طعامه بالسكين والشوكة ؟ أو أن أدواته للزينة والرفاهية والمساحيق والمعاجين والأصباغ هي التي قد سمت به إلى أوج الرقي والكمال ؟!! .

فإن لم يكن الأمر كذلك — والظاهر أنه ليس كذلك — فما للتقدميين المتشدقين بالإصلاح عند نا لايندفعون أول مايندفعون إلا بهذه المظاهر(١) ؟!!

الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

قال في « أضواء البيان » عارضاً موقف المسلمين من الحضارة الغربية :

« الاستقراء التام القطعي دلّ على أن الحضارة الغربية تشتمل على نافع وضار ، أما النافع فيها فهو من الناحية المادية ، وتقدمها في جميع الميادين المادية أوضح من أن أبينه ، وما تضمنته من المنافع للإنسان أعظم مما يدخل تحت التصور ... فقد خدمت الإنسان خدمات هائلة من حيث إنه جسد حيواني ... وأما الضار منها فهو إهمالها بالكلية الناحية التي هي رأس كل خير ولا خير البتة في الدنيا بدونها ... وهي التربية الروحية للإنسان وتهذيب أخلاقه (٢) » .

ثم قال بعد أن ذكر حكم الانتفاع من النافع منها

« وقد انتفع الرسول صلى الله عليه وسلم بدلالة « أبي الأريقط الدؤلي » له في سفر الهجرة على الطريق مع أنه كافر ... فاتضح من هذا الدليل أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية ويحذروا مما جنته من التمرد على

(١) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة للمودودي ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الجزء الرابع — تفسير سورة مريم — ص ٤١٢ مطبعة المدني ١٣٨٤ هـ .

خالق الكون جل وعلا ... فتصلح لهم الدنيا والآخرة . والمؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية فيأخذون منها الانحطاط الخلقي ... والانسلاخ من الدين والتباعد من طاعة خالق الكون ... ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادى ، فخسروا الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين »

الأستاذ سيد قطب

يقول :

« ولقد كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يتشدد مع أصحابه — رضوان الله عليهم — في أمر التلقي في شأن العقيدة والمنهج بقدر ما يفسح لهم في الرأي والتجربة في شئون الحياة العملية المتروكة للتجربة والمعرفة كشئون الزرع وخطط القتال وأمثالها من المسائل العلمية البحتة التي لا علاقة لها بالتصور الاعتقادي، ولا بالنظام الاجتماعي ، ولا بالارتباطات الخاصة بتنظيم حياة الإنسان وفرق بين هذا وذلك بين ، فمنهج الحياة شيء، والعلوم البحتة والتجريبية والتطبيقية شيء آخر ، والإسلام الذي جاء ليقود الحياة بمنهج الله ، هو الإسلام الذي وجه العقل للمعرفة والانتفاع بكل إبداع مادي في نطاق منهجه للحياة ...(١) »

ثم أورد قصة عمر ... حين رأى معه النبي — صلى الله عليه وسلم — شيئاً من التوراة وغضب عليه حتى رجع ... الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ... » .... الحديث .

فقال : « هؤلاء هم أهل الكتاب ... وهذا هو هدي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في التلقي عنهم في أمر يختص بالعقيدة والتصور ، أو بالشريعة

---

(١) عن تفسير — في ظلال القرآن . سيد قطب — المجلد الثاني ، الجزء الرابع ص ٢٠ — ٢١ ، الطبعة السادسة .

والمنهج ، ولا ضير – وفق روح الإسلام وتوجيهه – من الانتفاع بجهود البشر كلهم في غير هذا من العلوم البحتة علماً وتطبيقاً ، مع ربطها بالمنهج الإيماني : من ناحية الشعور بها وكونها من تسخير الله للإنسان ... ومن ناحية توجيهها والانتفاع بها في خير البشرية ، وتوفير الأمن لها والرخاء ، وشكراً لله على نعمة المعرفة ونعمة تسخير القوى والطاقات الكونية ... شكره بالعبادة ... وشكره بتوجيه هذه المعرفة وهذا التسخير لخير البشرية .

فأما التلقي عنهم في التصور الإيماني ، وفي تفسير الوجود ، وغاية الوجود الإنساني ، وفي منهج الحياة وأنظمتها وشرائعها ، وفي منهج الأخلاق والسلوك – أيضاً – أما التلقي في شيء من هذا كله فهو الذي تغير وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأيسر شيء منه ، وهو الذي حذر الله الأمة المسلمة عاقبته .... وهو الكفر الصراح » .

الباب الأول

ويشتمل على فصلين :

الأول : معاني التقليد (ويشتمل على النقاط التالية) :

- التقليد لغة .
- التقليد في الشرع والاصطلاح .
- المقصود بالتقليد — في هذا البحث — بالنسبة للمسلم .

الثاني : التقليد في الكتاب والسنة (ويشتمل على النقاط التالية) :

- النهي العام عن التقليد في القرآن والسنة .
- أمورٌ ورد النهي عنها بخصوصها :

(أ) عادات أهل الكتاب وعباداتهم وأعيادهم .

(ب) تقليد أهل الجاهلية .

(ج) تقليد الآباء والكبراء والرؤساء والفساق والمترفين .

(د) تقليد النساء للرجال ، والرجال للنساء .

- من حكم النهي عن التقليد .
- حكم التقليد شرعاً .

الفصل الأول

التقليد لغة :

التقليد في اللغة : مصدر « قَلَّدَ » على وزن « فَعَّلَ » وهو مأخوذ من القلادة وهي ما يحيط بالعنق ونحوه .

(ويقال : « قَلَّده » القلادة ، جعلها في عنقه(١)) .

(وقَلَّدَ المرأة القلادة ، جعلها في عنقها(٢) ...) .

(ويقال : قَلَّد البعير ، إذا جعل في عنقه حبلاً يقاد به(٣)) .

(وقَلَّد الهدي ، إذا جعل له شعاراً يعرف به كالقلادة(٤)) .

ومن هنا يتبين لنا أن التقليد في اللغة يستعمل لمعان كثيرة ذات دلالات سلبية وأشهرها : —

— الانقياد والخضوع بلا اختيار .

— والإحاطة .

— والتفويض يقال : « قلّد الوالي فلاناً العمل ، فوضه إليه كأنه جعله قلادة في عنقه (٥) » .

---

(١) المعجم الوسيط ص ٧٦ ج ٢ باب القاف .

(٢، ٣) محيط المحيط ج ٢ ص ١٧٤٩ .

(٤، ٥) محيط المحيط ج ٢ ص ١٤٩ .

— والإحكام يقال « قَلّد الشيء على الشيء ، لواه ، والحبل فتله(١) »
— والتسليم يقال : « قَلّد فلاناً الدين سلمه إياه(٢) » .
— والتخريف يقال « قُلِّدَ الشيخُ جبله خَرِفَ فلا يلتفت لرأيه(٣) »
— والمحاكاة العمياء يقال «قلّد القرد الإنسان أي حاكاه وتشبه به(٤) ! ! »
— والاتباع من غير نظر ولا روية يقال : « قَلّد فلان فلاناً اتبعه من غير حجة ولا دليل(٥) »

وكل هذه المدلولات كما نرى تدل على معان سلبية .

التقليد في الشرع والاصطلاح :

التقليد في الشرع : هو أن يتبع الإنسان غيره في حكم شرعي من غير اجتهاد في ذلك الحكم ولا دليل وهنا قد لا يكون التقليد مذموماً على كل حال ، بل ينبغي على من لا يقدر على الاجتهاد والنظر في الأحكام الشرعية أن يقلد غيره من الأئمة المجتهدين كما قال تعالى : « **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** » الآيتان : ٧ — الأنبياء . ٤٣ — النحل .

وإنما يذم التقليد في حق من يقدر على الاجتهاد ، والنظر في الأحكام ، ومن يتبع غيره في باطل أو **بدعة** أو يتعصب لرأي معين ويحمل الناس عليه فهنا يمقت التقليد .

« فالتقليد في الفقه الإسلامي غير الاتباع ، فالاتباع : سلوك التابع طريق المتبوع عن غير معرفة للدليل أو إدراك للأمر(٦) » .

---

(١) محيط المحيط ج ٢ ص ١٧٥٠ .
(٢) لسان العرب المحيط ج ٣ ص ١٤٨ .
(٣) المعجم الوسيط ج ٢ ص ١٧٥٠ .
(٤، ٥) محيط المحيط ج ٢ ص ١٧٥٠ .
(٦) انظر الوسيط في أصول الفقه الإسلامي ص ٦٦٦ .

التقليد في الاصطلاح :

أما التقليد في اصطلاح الأصوليين فهو :

« أخذ قول الغير من غير معرفة دليله ، أي محاكاة الغير في العمل أو الترك(١) » .

ويمكننا — أيضاً — استيحاء معناه الاصطلاحي من مفهومه لغة ، ومدلوله الواقعي ، قال في المعجم الوسيط : « قلّد فلان فلاناً ، اتبعه فيما يقول أو يفعل من غير حجة ولا دليل (٢) » .

وقال في فاكهة البستان « قلده في كذا ، تبعه من غير نظر ولا تأمل(٣) »

.... إذاً فالتقليد الذي نحن بصدد بحثه هو أن يتبع الإنسان غيره في قول أو فعل أو اعتقاد أو سلوك من غير دليل ولا نظر ولا تأمل ودون إدراك ولا وعي .

ويوضح هذا ما جاء في محيط المحيط يقول :

« التقليد : اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل ، معتقداً الحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل ، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه ، وقيل يسمى اتّباع الصحابة تقليداً باعتبار الصورة ، وربما يعرف التقليد بأنه اعتقاد جازم غير ثابت ، أي يزول بتشكيك المشكك(٤) »

ويفهم من المعاني اللغوية والاصطلاحية للتقليد بعض الضوابط للتقليد الذي نريد بحثه وهي : —

أولا : أن التقليد — صفة — سلبية لا تقع إلا من الجانب الضعيف وأنها صفة نقص ....

---

(١) الوسيط في أصول الفقه الإسلامي ص ٦٦٦ .

(٢) المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٧٦٠ .

(٣) فاكهة البستان ص ١١٨٨ .

(٤) محيط المحيط جـ ٢ ص ١٧٥٠ .

ثانياً : أن التقليد فيه معاني .... الانقياد ..... والانهزام .... والاتباع .. والتفويض ... والاستسلام .... والتلبس ... والتحمل ... والتخريف ... والطاعة العمياء من غير نظر ...

المقصود بالتقليد الأعمى بالنسبة للمسلم :

المقصود بالتقليد الأعمي – في هذا البحث : ما سلكه المسلمون – من غير إدراك ولا وعي ولا تمحيص – من اتباع الكفار ، والأخذ منهم ، والتشبه بهم ، في شتى ألوان الحياة وأنماط السلوك والأخلاق ... وأشكال الإنتاج ... في الاعتقاد ... والتصور ... والفكر ... والفلسفة ... والسياسة والاقتصاد ... والأدب والفن والثقافة ... والنظم والتشريع من غير اعتبار للعقيدة والشريعة الإسلامية ... والأخلاق الفاضلة ... ومن غير إلزام للمنهج الإسلامي الأصيل .

ومن ثم انبهارهم المذهل بالإنتاج الغربي – الكافر – دون عرضه على مقومات الأمة ... ودينها ... وتراثها .... وحضارتها .

ولا يفوتني أن أنبه إلى أنه ينبغي ألا يتبادر إلى ذهن – القاريء – أنني أمقت الاستفادة من الإنتاج البشري ... العلمي – والتجريبي ... النافع ، الذي يخدم البشرية ، في مجالات الخير والبناء ، والذي يوجب الإسلام علينا الأخذ به ... أين وممن كان ، فإن التقليد شيء والاستفادة من الإنتاج شيء آخر .

وإنما أمقت ويمقت كل مسلم حر ، ذلك التقليد الأعمى ، الذي ينعق به (المنهزمون) وأمقت ويمقت كل مسلم حر ، ذلكم التنكر لقيم الأمة .... ودينها ... وأخلاقها ... وتراثها ... وتاريخها ... لحساب الكفار وإنتاجهم .

وأمقت ويمقت كل مسلم حر ، ما عليه المستغربون – المنهزمون – من أبناء الأمة الإسلامية من تبعية استسلام ، وسلبية ، أمام كل ما هو آت من قبل الكفار .

وإنني في هذا البحث إنما أحكي واقعاً ، واقعاً مؤلماً ، هو أننا أخذنا عن تلكم الحضارة الجاهلية القشور والنفايات ... من كل ألوان الحياة ... وتركنا الشيء الكثير من الأشياء النافعة البنّاءة .

أخذنا وسائل الانحلال ... والفساد الخلقي ... كالعري ... والاختلاط المحرم ... وانفلات الأسرة .. والفوضى السياسية ... والربا ... والجري وراء الشكليات ومظاهر الحياة التافهة وكل ما هو رديء وعفن ... وأهملنا التقنية والتصنيع ... والإدارة والتنظيم ... وكل ما هو نافع لنا وواجب علينا اتباعه ، فأصبحنا بذلك مجمعاً لحثالات الحضارات المادية ، نمشي وراءها ونأكل من بقايا موائدها المتعفنة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ...

الفصل الثاني

النهي العام عن التقليد في الكتاب والسنة

(أ) النهي في القرآن :

كثيراً ما ينهى الله — سبحانه — في كتابه الكريم عن التقليد الأعمى ، فمقته وحذر من مغبته ، في آيات كثيرة ، ومناسبات عديدة ، وأساليب متنوعة ، ولا سيما تقليد الكفار .

فتارة بالنهي عن تبعيتهم وطاعتهم . وتارة بالتحذير منهم ، ومن الاغترار بمكرهم والانصياع لآرائهم والتأثر بأعمالهم وسلوكهم وأخلاقهم .

وتارة بذكر بعض خصالهم التي تنفِّر المؤمنين منهم ، ومن تقليدهم .

وأكثر ما يرد التحذير في القرآن من — اليهود — والمنافقين ، ثم من عموم أهل الكتاب والمشركين .

. . . .

وقد بين الله — تعالى في القرآن الكريم أن تقليد — الكفار — وطاعتهم ردة فقال : « **إن الذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر** » الآيتان ٢٥ — ٢٦ سورة محمد .

وحيث جعل الله في شريعته الكمال ، فقد نهى عن اتباع غيرها من الأهواء والنظم البشرية ، ونهى عن اتباع الكفار والذين لا يعلمون فقال :

« **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين** » . ١٨–١٩ سورة الجاثية .

وقال تعالى في معرض التحذير من الكفار وأهل الكتاب : « **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق** » ١٠٩ — البقرة .

« **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزّل عليكم من خير من ربكم** » . ١٠٥ — البقرة .

« **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** » . ٥١ — المائدة .

وكذلك نهى عن طاعتهم واتباع أهوائهم وخصالهم السيئة فقال :

« **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم** » ١٢٠— البقرة .

وقال : « **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** » ١٠٥ —آل عمران .

وقال : « **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين** » . ١٠٠ — آل عمران .

وقال : « **ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق** » ٤٨ — المائدة .

وقال : « **ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك** » ٤٩ — المائدة .

وقال : « **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** » ١١٦ — الأنعام .

وقال : « **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً** » ٥٢— الفرقان .

وقال : « **يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين** » . ١ ــ الأحزاب .

وقال : « **ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق** » ٣٧ ــ المائدة .

وبين تعالى خطر موالاتهم واتخاذهم بطانة ، وأن ذلك فيه خطر عام يهدد مصالح الأمة وكيانها ، فقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر** » . ١٨ ــ آل عمران .

. . . .

كما جاء النهي عن التقليد والتحذير منه بأسلوب القصة فإن الله ــ سبحانه وتعالى ــ ذكر في القرآن الكريم الأمم الكافرة الغابرة وأخبارها ومواقفها العدائية ضدّ مسيرة الإيمان على مدار التاريخ ، وما حصل لها من أنواع العقوبات والعذاب جزاء ضلالها وانحرافها ، وهو بذلك يأمرنا بأخذ العبرة والعظة ، ومن الاعتبار بهم والاتعاظ بقصصهم والابتعاد عن تقليدهم ، وتجنب سلوك نهجهم .

وذلك مثل قوله تعالى لمّا ذكر ما فعله بأهل الكتاب من المثلات « **فاعتبروا يا أولي الأبصار** » ٩ ــ الحشر .

وقال تعالى : « **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب** » ١١١ ــ يوسف .

وقسم العلماء الآيات التي نهت عن تقليد الكفار في القرآن على قسمين :

قسم بين أن مخالفتهم في عامة الأمور أصلح للمسلمين ، وهذا تدل عليه جميع الآيات .

وقسم بين أن مخالفتهم مطلوبة وواجبة شرعاً ، وهذا تدل عليه بعض الآيات(١) .

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ... لابن تيمية ص ١٧ .

(ب) النهي في السنة :

وردت في السنة — عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — أحاديث عامة تنهي عن التقليد الأعمى ، والتشبّه الممقوت ، وتحذر من مغبة ذلك فقال صلى الله عليه وسلم في معرض النهي عن التشبه بكل ما لم يشرعه أو يقره الإسلام ، والنهي عن تقليد كل من هو على غير سلوك المسلمين **« من تشبه بقوم فهو منهم »**(١) رواه أبو داود .

كما وردت أحاديث كثيرة في النهي عن تقليد الكفار — عموماً — وأهل الكتاب ، والمشركين ، والمجوس ، وأهل الجاهلية . فقال صلى الله عليه وسلم في مناسبات عديدة » .

« **خالفوا اليهود** » (٢)

« **خالفوا المشركين** » (٣)

« **لا تشبهوا باليهود** » (٤)

وحين حذر صلى الله عليه وسلم من تقليد الكفار وما ينتج عنه من خطر على عقيدة المسلمين وكيانهم ، علل ذلك بما هم عليه من انحراف وضلال ، فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم

---

(١) سنن أبي داود — كتاب اللباس ، باب لباس الشهرة — الجزء الثاني ص ٣٦٧ طبعة عام ١٣٧١ هـ .

(٢) وردت في عدة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم : « خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم » وسيأتي .

(٣) وردت في حديث « خالفوا المشركين ... واعفوا اللحي وأحفوا الشوارب » في باب إعفاء اللحي في صحيح البخاري وسيأتي .

(٤) وردت في حديث « ليس منا من تشبه بغيرنا .... إلخ » الحديث رواه أبو داود في أبواب الاستئذان .

إما أن تصدقوا بباطل وإمّا أن تكذبوا بحق ، وانه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ، ما حل له إلاّ أن يتبعني» (١)

كما بين صلى الله عليه وسلم – محذراً – ومشيراً إلى ما سيحصل للمسلمين بتخليهم عن منهج الله واقتفائهم آثار اليهود والنصارى والأمم المنحرفة ... وذلك فيما رواه أبو سعيد الخدرى – رضي الله عنه – قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ... حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ؟ » (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون ... شبراً بشبر وذراعاً بذراع فقيل يا رسول الله : كفار فارس والروم ؟ قال : ومن الناس إلاّ أولئك ؟ » (٣)

---

(١) مسند الإمام أحمد – الجزء الثاني – ص ٣٣٨ طبعة المكتب الإسلامي ودار صادر . بيروت .

(٢) رواه البخاري في كتاب « الاعتصام بالكتاب والسنة » باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم – المجلد الثالث . الجزء التاسع ص ٨٣ طبعة الفجالة عام ١٣٧٦ هـ بمصر .

(٣) صحيح البخاري – كتاب « الاعتصام بالكتاب والسنة » باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لتتبعن سنن من كان قبلكم ص ٨٣ الجزء التاسع – المجلد الثالث . طبعة الفجالة عام ١٣٧٦ هـ بمصر .

أمور ورد النهي عنها بخصوصها

وردت في السنة المطهرة أحكام تفصيلية أشارت إلى النهي عن التقليد في أمور معينة ، في العبادات والشعائر ، وفي العادات وأنماط السلوك التي يمارسها الكفار والمنحرفون ، وفي أحكام الحلال والحرام ، وذلك لما فيها من تشبه وتقليد لمن يمارسها ولما تضمنته من خطورة على العقيدة والأخلاق الإسلامية والمجتمع المسلم .

ويجدر بي أن أتناول بعض هذه الأحكام التفصيلية لأهميتها في حياة المسلم :

١ - عبادات أهل الكتاب وعاداتهم وأعيادهم

العبادات

من أخطر الجوانب التي اهتم الإسلام بها ... فنهى وحذر من التشبه وتقليد الكفار فيها ، جانب العبادات .

ذلك لأن العبادات تشريع توقيفي قد حدد وحصر شرعاً فلا مجال فيه للزيادة ولا النقص ، ولا التغيير والتبديل .... فالقاعدة الثابتة المتفق عليها في هذا الجانب ألا يعبد الله إلا بما شرع » .

وعاب الله على أهل الكتاب تساهلهم في العبادات حيناً ... وغلوهم وتشددهم أحياناً واتباع أهوائهم في كثير من ذلك ... ونهى وحذر من تقليدهم والتشبه بهم فيما فعلوه ... ومن ذلك :

أحكام الصلاة والنداء لها

لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، اهتم بكيفية جمع الناس للصلاة حين تقام فذكر له النقع ، شبّور اليهود فلم يعجبه ، وذكر له ناقوس النصارى فلم يعجبه — كذلك — حتى أرى الله بعض الصحابة (الأذان » نداءً وإعلاماً للصلاة بين المسلمين (١) ... فتميز المسلمون بذلك عن اليهود والنصارى .

---

(١) انظر صحيح مسلم — كتاب الصلاة — باب بدء الأذان — الجزء الثاني ص ٢ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر .

ثم أُمر المسلمون بعد ذلك بمخالفة أهل الكتاب في القبلة وجعلت قِبلتهم ... « شطر المسجد الحرام » بعد أن كانت إلى بيت المقدس قبلة « أهل الكتاب » .

وفي هذا التشريع إشارة واضحة إلى وجوب التميز عند المسلم .... وتحريم التقليد والتبعية والتشبه بالكفار .

قال تعالى: « **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول** » ١٤٣ — البقرة .

« **فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** » ١٤٤ — البقرة .

« **وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض** » ١٤٥ — البقرة .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة تجاه ما يعبده المشركون أو يحترمونه أو يقدسونه من شاخص وحجر وتمثال وصنم أو قبر ونحوه .... ونهى عن قيام المأمومين والإمام قاعد... والقيام على الرؤساء والأمراء والملوك .

فعن جابر — رضي الله عنه — قوله :

« **اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد ، وأبو بكر يسمع الناس تكبيره ، فالتفت إلينا فرآنا قياماً فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً ، فلما سلم قال : إن كدتم آنفاً تفعلون فعل فارس والروم ، يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا . .** » الحديث(١)

وكذلك نهى صلى الله عليه وسلم عن ترك الصلاة بالخفاف والنعال ... فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم** »(٢)

---

(١) صحيح مسلم — باب ائتمام المأموم بالإمام — من كتاب الصلاة — الجزء الأول ص ١٧٦ طبعة الحلبي بمصر .

(٢) سنن أبي داود — كتاب الصلاة — باب الصلاة بالنعل — الجزء الأول ص ٢٤٨ الطبعة الثانية عام ١٣٦٩ هـ .

وكان من سننه صلى الله عليه وسلم مخالفة أهل الكتاب والمشركين في كثير من أحكام الصيام التي خالفوا فيها ما شرعه الله لهم ، وشرعوا بأهوائهم بالزيادة والنقص والتبديل والتحريف في أحكام الله .

فكان من عادة أهل الكتاب أنهم لا يتسحرون للصيام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عمرو بن العاص « **فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السّحور** »(١)

ومن عاداتهم أيضاً تأخير الفطور ، وقد شرع الله لهم تعجيله ناهياً عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : « **لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون** »(٢)

وكذلك — الأمر — في صوم يوم عاشوراء فقد كانت (يهود) تعظمه بالصوم ... وصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر بمخالفة اليهود فيه وذلك بصيام يوم قبله ويوم بعده تحقيقاً للمخالفة والتميز وابتعاداً عن شبهة التقليد المنهي عنه شرعاً .

فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس — رضي الله عنه — أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا فيه اليهود وصوموا يوما قبله ويوماً بعده** »(٣)

العادات

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كثير من عادات أهل الكتاب والمشركين وحذر أمته من تقليدهم فيها ، لما يحدثه التقليد في العادات من

---

(١) صحيح مسلم — كتاب الصيام — باب فضل السحور ص ١٣٠ — الجزء الثالث طبع مكتبة المشهد الحسيني بمصر .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصيام .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل — الجزء الأول ص ٢٤١ الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ .

تبعية وامتزاج بالكفار ، وقد أُمر المسلمون بالتميّز واستقلال الشخصية ... وسأذكر بعضاً من هذه العادات التى ورد النهي عنها : —

تركهم الشيب دون صبغ وتغيير :

من عادات اليهود والنصارى التي يحافظون عليها ، ترك الشيب بلاصبغ ولا تغيير .... ومع أن هذه الخصلة مجرد عادة فقد أُمرنا بمخالفتهم فيها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم . . . »(١)

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة — أيضاً — والزبير :

« غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود »(٢) .

حلق اللحى وإعفاء الشوارب :

كان حلق اللحية وإعفاء الشارب — من أبرز سمات الشخصية عند أهل الكتاب والمشركين والمجوس في الماضي ... لهذا جاء الأمر الصريح في السنة بمخالفتهم في هذه السمة لتتميز الشخصية الإسلامية ... بكل ما هو من مظاهر الرجولة ... وقد اعتبر الشارع شعر اللحية من أبرز هذه المظاهر .

لذا جاء في الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خالفوا المشركين أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى » متفق عليه(٣) .

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس عن : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ص ١٣٨ .

(٢) الرواية هنا عن الزبير بن العوام — رضي الله عنه — مسند الإمام أحمد بن حنبل — الجزء الأول ص ١٦٥ الطبعة الأولى .

(٣) صحيح البخاري — باب إعفاء اللحي — كتاب اللباس ج ٧ ص ٢٠٦ طبعة محمد على صبيح بمصر .

ترك الصلاة بالخفاف والنعال :

لقد بين الفقهاء – رحمهم الله – أن الصلاة بالنعال والخفاف ليست من السنن التي داوم عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يأمر بالمداومة عليها ، وإنما أمر بها لمخالفة الكفار ، وبياناً بأن الصلاة جائزة بالنعال والخفاف إذا توفرت فيها شروط الطهارة وخلت من الأذى .

فعن شداد بن أوس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم** »(١)

تبرج النساء والافتتان بهن :

إن تبرج النساء من أخطر الخصال المعدية ، ومن أفتك الأمراض الخلقية التي تبتلي بها الأمم وتنهدم بها العروش ، وتنهار بسببها الحضارات .

فقد عرف بالاستقراء التاريخي لحياة الأمم والحضارات والدول أن تبرج النساء وسفورهن والافتتان بهن داء وبيل ما دبّ في حياة الأمم التي سادت وازدهرت حضاراتها إلا وقوض بنيانها ، ونخر في كيانها ... وصيرها أثراً بعد عين ... كما حصل لليونان .... والرومان .... والفرس ...

فإن هذه الأمم حين غلت وأسرفت في تبرج المرأة واختلاطها بالرجل وتعريتها من الحياء والأخلاق واللباس ، وتشجيعها على السفور وترك الحشمة ، وانحرافها عن مكانتها ورسالتها ... انجرفت المرأة في تيار الشهوات والإثارة الجنسية ، والفساد فضاع الحياء والخلق ثم ضاع بعدهما الشرف والكرامة ، فوصل الأمر – بتلك الأمم – إلى أن سخرت قوى الأمة كلها ... أدبها ... وثقافتها ... فنها ... وشعرها ... بل أفكارها وقوانينها ..

---

(١) سنن أبي داود – الجزء الأول ص ٢٤٨ كتاب الصلاة – باب الصلاة في النعل – الطبعة الثانية سنة ١٣٦٩ هـ بمصر .

من أجل الإشباع الجنسي والاستمتاع بالمرأة !! (١)

وحين حدث ذلك ... دب الضعف والوهن ، والإخلاد إلى التنعم ... وانهدم الكيان الأسري والروابط الاجتماعية فيها .. فكانت نهايتها سريعة ومؤلمة (٢)

وهذا ما خافه وحذر منه الناصح الأمين صلى الله عليه وسلم حين قال فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه :

« . . . واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »(٣)

وروى سعيد بن زيد وأسامة بن زيد — رضي الله عنهما — عنه — صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء »(٤)

وصل الشعر :

فلقد حرم الإسلام وصل الشعر ... وورد في تحريمه أحاديث كثيرة تصرح بعضها بأنها عادة لبني إسرائيل .

فقد ورد عن معاوية — رضي الله عنه — أنه تناول قصة من شعر كانت في يد حَرَسِّيٍ يقول : يا أهل المدينة أين علماؤكم ؟ ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهي عن مثل هذا ويقول :

« إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذت هذه نساؤهم »(٥)

(١ ، ٢) انظر كتاب الحجاب لأبي الأعلى المودودي فصل « ما هي المسألة » من ص ٨ إلى ٣٧ .

(٣) مسند الإمام أحمد — الجزء الثالث ص ٢٢ الطبعة الأولى — طبعة المكتب الإسلامي ودار صادر — بيروت .

(٤) صحيح البخاري — كتاب النكاح — باب ما يتقى من شؤم المرأة — الجزء السابع ص ٨ طبعة مطبعة الفجالة بمصر سنة ١٣٧٦ هـ .

(٥) صحيح مسلم — المجلد الثاني ص ٢٤٤ طبعة عيسى البابي الحلبي .

وقال جابر – رضي الله عنه :

« زجر النبي صلى الله عليه وسلم أن تصل المرأة برأسها شيئاً »(١)

تجنب مؤاكلة ومجالسة المرأة الحائض :

من عادات اليهود أنهم لا يجالسون ولا يخالطون المرأة الحائض . ولا يؤاكلونها ولا يكلمونها ويعتبرون كل ذلك رجساً .

فسأل الصحابة – رضوان الله عليهم – رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وماذا يفعلون بمعاملة الحائض ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :

« افعلوا كل شيء إلا النكاح »(٢)

السلام بالإشارة بالأصابع والأكف :

كان من عادة اليهود السلام بالإشارة بأصابعهم ... وكانت عادة النصارى الإشارة بأكفهم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه العادة ... ومن ذلك ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عنه – صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« ليس منا من تشبه بغيرنا .... لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف »(٣)

اتخاذ المساجد على القبور : –

كما كان من عادة اليهود والنصارى اتخاذ المساجد على القبور ... ولهذا جاء الأمر بالنهي عن العمل بعملهم ... فعن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرضه الذي مات فيه :

---

(١) صحيح مسلم – المجلد الثاني ص ٢٥٤ طبعة عيسى البابي الحلبي .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الحيض – باب مباشرة الحائض فوق الإزار – الجزء الأول ص ١٦٩ طبعة مكتبة المشهد الحسيني بمصر .

(٣) جامع الترمذي (مع شرحه – تحفة الأحوذي) أبواب الاستئذان – باب كراهية إشارة اليد في السلام .

« لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قالت : ولولا ذلك لأبرزوا قبره ، غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً »(١)

لبس الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة : —

نهى الإسلام عن لبس الذكور للحرير والديباج وجعله خاصة بالنساء ... كما نهى المسلمين عامّة عن استعمال آنية الذهب والفضة ... وجاء في بعض الأحاديث تعليل ذلك بأن استعمال هذه الأشياء من خصائص الكفار . فعن ابن ليلي قال : كان حذيفة بالمدائن فاستسقى فأتاه دهقان بماء في إناء من فضة فرماه به وقال : إني لم أرمه إلاّ أني نهيته فلم ينته .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الذهب والفضة والحرير والديباج هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة »(٢) متفق عليه .**

الأعياد : —

اتخذ الكفار لأنفسهم أعياداً دينية ووطنية مختلفة ومتعددة ... وحددوا لأنفسهم أفراحاً خاصة بهم ... وذلك كأعياد الجلوس على العرش ، وأعياد الثورات ... والمناسبات المختلفة ...

ولا يجوز للمسلمين تقليدهم وموافقتهم فيها ، ولا مشاركتهم في أفراحهم الخاصة بهم ... لأن الأعياد من الشعائر التعبدية التوقيفية التي لا يجوز فيها إحداث ولا زيادة ولا تقديم أو تأخير .

وفي تعليل ذلك يقول ابن تيمية — رحمه الله : —

« إذ الأعياد شريعة من الشرائع ، فيجب الاتباع لا الابتداع (...) .... إنما يفعل مثل هذا النصارى ، الذين يتخذون أمثال أيام حوادث عيسى

(١) صحيح البخاري باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور . الجزء الثاني ، المجلد الأول ص ١٠٦ .

(٢) صحيح البخاري باب لبس الحرير — الجزء السابع المجلد الثالث ص ١٩٣ .

ـ عليه السلام ـ أعياداً ، أو اليهود ... وإنما العيد شريعة فما شرعه الله اتبع وإلا لم يحدث في الدين ما ليس منه . . . »(١)

وقد شرع الله لنا من الأعياد والمناسبات الإسلامية ما فيه غنى عن تقليد الكفار فلا يجوز تقليدهم في أعيادهم من طريقين(٢) :

الأول : لأنه موافقة وتقليد للكفار ، وهذا منهي عنه لذاته ، فيكون فيه مفسدة موافقتهم ، وفي تركه مصلحة مخالفتهم .

الثاني : أن نفس أعياد الكفار ورد النهي عنها ـ بخصوصها ـ في الكتاب والسنة والإجماع ، فضلا عن كونها تشبها وتقليداً (٣) .

أما الكتاب فتفسير قوله تعالى : « **والذين لا يشهدون الزور** » (الفرقان٧٢) قال غير واحد من السلف بأنها أعياد المشركين(٤) .

وأما السنة فروى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « **ما هذان اليومان ؟** » قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم « **إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما . . يوم الأضحى ويوم الفطر** » (٥)

فليس في الإسلام إلا هذان العيدان ، وما عداهما من الأعياد المحدثة كالأعياد الوطنية ، وأعياد الجلوس ، والاستقلال ، وأعياد الثورات ... مما تنهجه الدول والشعوب كل ذلك ابتداع محرم .

وأما الإجماع فقد اتفق المسلمون على « مشروعية » مخالفة الكفار في أعيادهم(٦) .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٢٩٤ .

(٢، ٣، ٤) المصدر السابق ص ١٨٠ ـ ١٨٤ .

(٥) الحديث رواه أبو داود بهذا اللفظ .

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٨٦ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩ .

فقد نقل العلماء إجماع الصحابة والسلف الصالح من هذه الأمة على أن عيدي المسلمين إنما هما الأضحى والفطر المبارك وإنه لا يجوز موافقة الكفار في شيء من أعيادهم واحتفالاتهم ومهرجاناتهم(١) .

وكما أن في الإسلام عيداً أسبوعياً هو يوم الجمعة فليس للدول الإسلامية أن تجعل عيد عطلتها الأسبوعي في غير هـذا اليوم ... كما تفعل بعض الدول في العالم الإسلامي تقليداً إما لليهود بتعطيل يوم السبت أو للنصارى بتعطيل يوم الأحد .

أما الأعياد السنوية عند الكفار فهي كثيرة جداً لا حصر لها ... منها الثابت ومنها المتجدد ... والكفار يحدثون ويغيرون ويغلون ويشرعون في الأعياد بأهوائهم .

. . . .

وقد ابتلي المسلمون في عصورهم المتأخرة بابتداع أعياد ما أنزل الله بها من سلطان .... منها الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج والاحتفال بالمولد النبوي والأعياد الوطنية ، والشعبية وغيرها احتفالا يلحقها بالأعياد الشرعية المحددة .

وهذا الذي حدث كان نتيجة الجهل بالإسلام ، والبعد عن منهج الله وشرعه فاعتبار مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيداً لم يؤثر عن الصحابة والتابعين الذين هم أولى الناس به صلى الله عليه وسلم وأقربهم إليه وأحبهم له وأصدقهم تمسكاً بسنته .

مع العلم أن أكثر المحتفلين بالمولد النبوي هم أجهل الناس بالإسلام وأبعدهم عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٨٦ – ١٩٨ – ١٩٩ .

ثم كيف يحتفل المسلمون بيوم مولده صلى الله عليه وسلم ويعتبرونه عيداً مع أنه يوم وفاته أيضاً ؟ ! !

والواقع يشهد بأن الأمة الإسلامية كانت قبل أن تحتفل بالمولد النبوي أقوى وأعز منها حين احتفلت وأقامت الأفراح .

أما الأعياد والاحتفالات الأخرى ... فأغلبها جاء عن طريق الاحتلال حين استولى الغرب الكافر على الشعوب الإسلامية النائمة ثم استمرت موجة التقليد بعد رحيل الاحتلال العسكري حيث بقي الاحتلال الفكري والتبعية .

وما أروع ما قاله عمر بن الخطاب : « **اجتنبوا أعداء الله في أعيادهم** »(١)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ص ٢٠٠ .

ب - النهي عن تقليد أهل الجاهلية

مفهوم الجاهلية في القرآن والسنة :

يرد لفظ الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والسنة النبوية في مناسبات عديدة قال ابن تيمية : —

« ولفظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال وهو الغالب في الكتاب والسنة وقد يكون اسماً لذي حال فيقال : طائفة جاهلية ، وعادة جاهلية ، وسنة جاهلية ، وشاعر جاهلي . وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم أوعدم اتباع العلم ، فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلا بسيطاً ... فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلا مركباً ، فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل — أيضاً — .... وكذلك من عمل خلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه الحق ، كما قال تعالى :

« **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة** » ١٧ — النساء .

قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كل من عمل سوءاً فهو جاهل !!! .

ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال (**موتى**) أو (**عمياً**) و (**صماً**) و (**بكماً**) و (**ضالين**) و (**جاهلين**) و (**لا يعقلون**) و (**لا يسمعون**) .... » (١)

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ص ٧٧ — ٧٩ .

ثم قرر ابن تيمية أن الجاهلية لا تختص بزمن ... وهكذا نرى أن مفهوم الجاهلية في القرآن يأتي على المعاني الآتية : —

الجهل بمعنى عدم معرفة الحق .

أو معرفته وعدم العمل به .

وبمعنى الظلم ....

وبمعنى الكفر ....

وعادات المشركين قبل الإسلام تسمي — كذلك — جاهلية ...... كما قال تعالى :

« **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » ٣٣ الأحزاب .

« **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** » ١٥٤ آل عمران .

« **أفحكم الجاهلية يبغون ؟ !** » ٥٠ المائدة .

« **إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية** » ٢٦ الفتح .

. . . .

يقول ابن تيمية — رحمه الله — : « والسنة الجاهلية كل عادة كانوا عليها .... فإن السنة هي العادة ، وهي الطريق التي تتكرر لأنواع الناس مما يعدونه عبادة ... أولا يعدونه عبادة ، قال تعالى : « **قد خلت من قبلكم سنن** » ١٣٧ آل عمران .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **ولتتبعن سنن من كان قبلكم** »(١) والاتباع هو الاقتفاء والاستنان ، فمن عمل بشيء من سننهم فقد اتبع سنة الجاهلية ... وهذا حكم عام يوجب تحريم كل شيء يقلد فيه سنن الجاهلية(٢)

. . . .

---

(١) الحديث روي في الصحيحين وغيرهما .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم . لا بن تيمية — ص ٧٦ — ٧٧ .

والذي ذكره ابن تيمية في مفهوم الجاهلية ينطبق على الواقع الذي تعيشه البشرية اليوم ، فإنها — في القرن العشرين — ترسخ في أغلال الجاهلية حسب المفهوم الإسلامي ... لأنها تحققت فيها صفات الجاهلية ... فهي : —

— جاهلة بحقيقة الله سبحانه ، وبعبوديته الحقة ، متنكبة صراطه المستقيم .

— رافضة للاهتداء بهدي الله ..... رغم وجود هذا الهدي ووضوحه .

— وكل الحالات والصفات والعادات التي ذكر القرآن وبينت السنة بأنها جاهلية هي واقعة في حياة البشرية اليوم .

— كما أن من يعلم الحق اليوم — كأكثر المسلمين — لم يحققه في واقع الناس والحياة .... ولم يحاول أحد من هؤلاء — إلا القليل — تطبيق وتحقيق منهج الله في حياة الأمة الإسلامية — أو حياة البشرية — ومن ثم فهم لايزالون يعايشون هذه الجاهلية دون اعتراض أو امتعاض.

وقد عرف الأستاذ محمد قطب — وفقه الله — الجاهلية تعريفاً دقيقاً شاملا فقال :

« إنما الجاهلية — كما عناها القرآن وحددها — هي حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدي الله ، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله » .

« وإذن هي مقابل معرفة الله والاهتداء بهدي الله والحكم بما أنزل الله .... وليست مقابل ما يسمى... العلم والحضارة المادية ووفرة الإنتاج(١) » .

. . . .

ثم إن الجاهلية كما هو واضح من مفهومها من القرآن والسنة وتعريف العلماء لها ... لا تختص بزمن ولا مكان معينين ...

---

(١) جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب ص ٩ .

يقول ابن تيمية في ذلك :

«كما يدخل في مسمى الجاهلية ماكان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام.. وما عاد إليه كثير من العرب من الجاهلية التي كانوا عليها ، ومن تشبه من العرب بالعجم(١) لحق بهم »(٢)

(١) المقصود بالعجم هنا : الذين ورثوا عادات وتقاليد غير إسلامية من آبائهم وأجدادهم . ولم ينصهروا مع المسلمين من أبناء فارس والروم ومن تأثر بهم ... وكل من لا يتكلم العربية يقال له « عجمي » .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٢ .

بعض العادات الجاهلية التي حذر منها الإسلام

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن تقليد أهل الجاهلية في كثير من الأمور كضرب الخدود وشق الجيوب والنياحة عند المصائب ، والدعوة بدعوى الجاهلية ، والفخر بالأحساب ، والطعن بالأنساب ....إلخ

فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبي بن كعب : « **من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا** » (١)

وقال في حديث رواه أبو مالك الأشعري : « **أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ...** »(٢) **الحديث** .

وكذلك المكاء والتصدية ، وطواف العراة بالبيت الحرام ، وما سنّه الجاهليون في العبادات كالحج — قبل الإسلام — من السنن الباطلة !

وهذا ما فهمه أبو بكر — رضي الله عنه — حين رأى امرأة قرشية تلتزم الصمت كعادة أهل الجاهلية فنهرها وقال لها : « **تكلمي .... هذا**

---

(١) رواه أحمد بألفاظ مختلفة ... انظر الجزء الخامس ص ١٣٦ الطبعة الأولى — المكتب الإسلامي ببيروت .

(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود ، والرواية هذه لمسلم — صحيح مسلم — الجزء الأول ص ٣٧٢ كتاب الجنائز — طبعة الحلبي .

لا يحل ، هذامن أمر الجاهلية »(١)

وفي خطبة الوداع – في عرفة – أعلن النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته الخالدة والتي بين فيها الخطوط العامة لسياسة الأمة الإسلامية ومنهج حياتها فقال في خطبته تلك : « **ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة** »(٢)

وواضح أن قوله : « **كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي** » يدخل فيه كل ما كانوا عليه من عادات وعبادات وتقاليد وأوضاع .

. . . .

ولعله من المناسب في هذا المقام أن أسرد أبرز الأشياء التي حذر الإسلام من تقليد (الجاهليين) فيها ... والتي خالف الرسول صلى الله عليه وسلم فيها أهل الجاهلية ومنها(٣) :

– الغلو في الصالحين : –

وهذه الخصلة ورثتها الجاهلية عن اليهود والنصارى « **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله** » ٣٠ التوبة .

« **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** » ٣١ التوبة .

فاتخاذ العلماء والكبراء من الناس أرباباً يحلّون الحرام ويحرمون الحلال ويجلبون النفع ، ويدفعون الضر ويتصرفون في الكون ! ! كل ذلك كان – ولا يزال – من جاهلية أهل الكتاب ، ثم سرت إلى أهل الجاهلية (العرب) قبل الإسلام ... وإلى المسلمين في العصور المتأخرة .

(١) انظر تفاصيل القصة في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(٢) سنن أبي داود – كتاب المناسك – باب صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم – الجزء الأول ص ٤٤٢ الطبعة الأولى .

(٣) لمعرفة تفصيل هذا الجانب راجع كتاب « مسائل الجاهلية » للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب بشرح **محمود** شكري الألوسي » .

— التفرق :

كان العرب في الجاهلية في حالة تفرق يرون فيها السمع والطاعة مهانة وذلة فأمرهم الله بالاجتماع ، ونهاهم وحذرهم من الفرقة فقال تعالى :

« **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** » ١٠٢ آل عمران .

— التقليد :

إن اعتقاد الجاهليين ودينهم مبنيان على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الأولى التي يستند إليها (الكفار) في اعتقادهم وتفكيرهم :

« **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون** » ١٧٠ البقرة .

— الاحتجاج على الحق بقلة أهله :

وهذه هي حجة أصحاب النظرة المادية من الكفار والمنافقين وأصحاب الأهواء والقاعدين الذين يزنون الأمور بموازين الجاهلية ، ويقيسون الحق بمنطق الأرقام ، وتلكم نظرة قاصرة مقتها الله تعالى في مواطن كثيرة ... قال تعالى حكاية عن فرعون حين احتج بقلة أصحاب موسى : « **إن هؤلاء لشرذمة قليلون** » ٥٥ الشعراء .

— انخداع أهل القوة بقوتهم وأهل الثروة بثروتهم :

قال تعالى في ذلك : « **فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟؟ .. أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة** » ١٦ فصلت .

« **كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم** » ٦٩ التوبة .

— الاستخفاف بالحق وأهله :

وهذه نغمة الجاهلية في صراعها الطويل مع الحق منذ فجر التاريخ ....

فقــد قالها قوم نوح يعيرونه بأصحابه « **أنؤمن لك واتبعك الأرذلون** » (١١١ – الشعراء) .

– صرف نصوص « الشرع » عن مدلولاتها وتحريف كتب « الأديان » لتوافق الأهواء والشهوات :

فنجد أن الجاهلية الحديثة لم تقف عند هذا الحد ، فتمخضت عن مذاهب ونظريات تهدم الشرع أصلا وتحاربه .... أو على الأقل تعزله عن واقع الناس والحياة .

– الاقتداء بالعلماء الفسقة وأصحاب الأهواء والضلال والغي واتباع العابد الجاهل :

كما قال تعالى :

« **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** » ٧٧ – المائدة .

– الاحتجاج بما كان عليه الآباء من عقائد وتقاليد بلا دليل :

فقد كان أهل الجاهلية يرددون – دائماً – : « **ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين** : ٢٤ المؤمنون .

« **وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين** » . ٣٦ القصص .

– ادعاء كل طائفة أن الحق معها :

قال تعالى محذرا المؤمنين : « **ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون** » ٣٢ – ٣٣ الروم .

– المجاهرة بكشف العورات .

– الإلحاد في أسماء الله وصفاته .

– جحود القدر والاحتجاج به على الله .

ـ إضافة نعم الله إلى غيره .

ـ اختيار كتب الباطل وترويجها ، ونبذ آيات الله .

ـ الجدال بغير علم وكثرة الكلام في الدين بلا هدي وعلم .

ـ التكذيب والكفر والتشكيك باليوم الآخر والبعث والنشور والجنة والنار وإنكار الغيب .

ـ قتل الأولياء والدعاة إلى الحق وسجنهم وتعذيبهم وتشريدهم ... ومطاردتهم ورميهم بالفساد في الأرض ! ! .

ـ لبس الحق بالباطل ورفع شعارات الحق لترويج الباطل .

ـ ادعاء محبة الله مع ترك شرعه والاستمداد من الكفار ، والتمني على الله الأماني الكاذبة .

ـ اتخاذ قبور الصالحين مساجد .

ـ الافتخار بولاية البيت الحرام .

ـ الافتخار بالصنائع وعظمة الدنيا في القلوب(١) .

وهذه من أبرز الظواهر في سلوك الكفار ، وهي بذور الانحراف والضلال في حياة الأمم كلها ، بل هي بداية (الانحراف)عن صراط الله المستقيم وعن عقيدة التوحيد الصافية .

لذلك اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الناحية اهتماماً كبيراً ، وحذر المسلمين من الوقوع فيها .

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى :

« وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً » ٢٣ نوح .

---

(١) لمعرفة تفصيل العادات السابقة انظر كتاب « مسائل الجاهلية » للشيخ محمد بن عبدالوهاب بشرح « محمود شكري الألوسي » من صفحة ١١ إلى صفحة ٧٠ .

قال :

« هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ... ففعلوا ... ولم تعبد ... حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت »(١) .

وقال ابن القيم : « قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم »(٢) .

وفي الصحيحين عن عائشة — رضي الله عنها : « أن أم سلمة — رضي الله عنها — وأم حبيبة ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بأرض الحبشة يقال لها : مارية .. ذكرتا من حسنها وتصاوير فيها ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عندالله عز وجل يوم القيامة »(٣) متفق عليه والرواية لمسلم .

(١) تفسير « فتح القدير » للشوكاني — الجزء الخامس — تفسير سورة نوح ص ٣٠٢ الطبعة الثانية .

(٢) فتح المجيد — شرح كتاب التوحيد — لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٢٢ الطبعة السابعة .

(٣) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري — تحقيق محمد ناصر الدين الألباني — الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨ هـ .

د - النهي عن تقليد الآباء والكبراء والفساق والمترفين

لقد ذم الله تعالى أولئك الذين يسلكون مسالك منحرفة من الشرك والكفر والمعاصي والتقاليد الفاسدة وهم يقولون : إنا وجدنا آباءنا وكبراءنا كذلك يفعلون .

ومثلهم الذين يقلدون فساقهم ومترفيهم دون وعي ولا إدراك أو تقدير لعواقب تقليدهم .... فقال تعالى : « **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا** » ١٧٠ البقرة .

وكذلك قال في شأن السادة والكبراء : « **وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا** » ٦٧ الأحزاب .

فبين القرآن أن هؤلاء المقلدين هالكون وخاسرون يوم القيامة وأن حجتهم داحضة حين يحتجون بآبائهم وسادتهم وكبرائهم .

. . . .

ومما يؤسف له أن (الجماهير ! !) في العالم الإسلامي ما تفتأ تطبل وتصفق لحكامها وكبرائها وسادتها — الذين قادوها إلى التبعية والهزيمة والاستسلام المطلق للكفار — والذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، دون أن تعي ما هم عليه من انحراف وفساد وتبعية وانهزامية ومحادة لله ولرسوله ولدينه .

لكن هذا وضع شاذ لا بد للشعوب أن تعيه حين تعود إلى منهج الله — إن شاء الله — والله غالب على أمره وناصر دينه ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

د ـ تقليد النساء للرجال والرجال للنساء

لقد فرق الله ـ سبحانه ـ بين الرجل والمرأة ـ بالخلقة والتكوين الجسماني والنفسي والعاطفي ـ ومن ثم جعل لكلٍ منهما وظيفته ورسالته في الحياة ، بحسب تكوينه الخاص ... فلن تستقيم أمور الناس حتى يقوم كل من الرجل والمرأة بدوره الخاص به ... وأرى أنه من المفيد في هذا المقام أن أذكر ما قاله العالم الفرنسي (الكسس كاريل) في كتابه « الإنسان ذلك المجهول » حين ذكر الفرق بين الرجل والمرأة في الطبيعة والتكوين حيث قال

« والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل ... فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها ... والأمر صحيح بالنسبة لأعضائها ، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي .

فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للّين مثل قوانين العالم الكوكبي ... فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها ... ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي .

فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور ! فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال ، فيجب عليهن ألاّ يتخلين عن وظائفهن المحددة »(١) .

وبهذا ندرك ـ كما قررت الشريعة الإسلامية ـ أن الاختلاف بين

---

(١) « الإنسان ذلك المجهول » تأليف : الكسس كاريل تعريب : شفيق أسعد فريد ص ١٠٩

وظيفتي الرجل والمرأة ودور كل منهما ورسالته في الحياة أمر حتمي وسنة من سنن الله في الحياة التي لا تستقيم إلا معها « **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** » ٣٠ الروم .

ونتيجة لهذا الاختلاف الوظيفي في الحياة الدنيا والآخرة فقد رتب الله سبحانه وتعالى المسئولية والجزاء على عباده كل على حسب وظيفته ...

قال صلى الله عليه وسلم : « **كلكم راع وكلكم مسئول ، فالإمام راع وهو مسئول ، والرجل راع على أهله وهو مسئول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول ... ألا فكلكم راع وكلكم مسئول** »[١] رواه البخاري .

ففي هذا الحديث نرى أن الإسلام جعل دور المرأة متناسباً مع تكوينها ، وهو دور كبير وخطير لا يمكن أن يقوم به الرجل ... فالقيام بشؤون الأسرة وتنظيمها ، وحضانة الأطفال ورعايتهم ... والعطف والحنو الفطري نحو الأبناء ... وتربية الرجال ! وإعداد الأجيال ... ثم القيام بالخدمات النسائية.. من تعليم ... وعلاج وغيره ... كل ذلك لا يقوم به إلا المرأة .

لذلك ساوى الله بين الرجل والمرأة في الجزاء والتكليف كما ساوى بينهما في الكرامة والإنسانية « **.... أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** » . ١٩٥ آل عمران .

فمن المسخ والانحراف أن يتعدى أحد الجنسين على وظيفة الآخر .... ومتى حدث ذلك في مجتمع فإنه دليل على عدم استقراره وتماسكه وبرهان على دماره وهلاكه .

ومتى حاول الرجل انتزاع بعض خصائص المرأة أو وظائفها فهو فاقد للرجولة الحقة والحياة السّوية .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب النكاح – باب « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » طبعة مطبعة الفجالة الجديدة بمصر سنة ١٣٧٦ هـ .

وكذلك المرأة متى حاولت انتزاع بعض خصائص الرجل أو وظائفه فهي ممسوخة وخارجة عن طبيعتها وأنوثتها .

ولئلا ينحرف كل من الجنسين عن طبيعته ورسالته نهى كل منهما عن التشبه بالآخر ... لأن ذلك يفسد الحياة ويخل بنظامها .. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« لعن النبي صلى الله عليه وسلم المتخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء »(١) رواه البخاري .

وعنه أيضاً قال :

« لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهات بالرجال من النساء .... والمتشبهين بالنساء من الرجال »(٢) رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

وعن ابن عمر — رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة لا يدخلون الجنة » ذكر منهم : « المرأة المترجلة المتشبهة بالرجال »(٣) رواه أحمد .

والإسلام لا يرضى ما يفعله كثير من الناس اليوم — لاسيما الشباب — من التميع والتبختر ، والاستهتار .... والتخنث في المشية والهيئة ، واللباس والزِّي ، والجري وراء « المودات» و« الخنفسة » ! ! .

فإن ذلك كله .... إنما هو مسخ وانحراف عن الفطرة ، وانهزامية

(١) عن التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح — كتاب اللباس — ص ١٣٧ .

(٢) عن جامع الترمذي — بشرحه : تحفة الأحوذي — الجزء الرابع ص ١٦ نشر دار الكتاب العربي .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل الجزء التاسع ص ٤٣ الحديث رقم ٦١٨٠ .

وانحطاط على حساب أخلاق الأمة الإسلامية ودينها ومقومات عزها ونهضتها ... وهذا الوضع – الشاذ – أعظم كارثة غزا بها الكفار المسلمين ... فقد ابتليت في زهرات شبابها وفلذات أكبادها .

ومن المبكي – حقاً – أن ترى قطعاناً من الشباب في عالم المسلمين – بل في مهابط الوحي ومهد الرسالة ومنابع الرجولة – تسير هائمة بلا هدف ولا غاية ... إلاّ الانحراف ، لا تفرق – أحياناً – بين ذكرهم وأنثاهم في المظهر .

الحكمة من النهي عن التقليد

التشريع الإسلامي — بما أنه تشريع من الحكيم الخبير — يخفى كثير من حكمه على البشر وقد يعلم الناس بعضاً من هذه الحكم في الأحكام التي تظهر لهم مصالحها وآثارها في حياتهم من خلال تجاربهم في تطبيق الشريعة .. أو إدراكها وتأملها .

وقد بين لنا الله — سبحانه — وأرشدنا بأنه ليس لنا — نحن المسلمين — أن نسأله تعالى ... لماذا حرم هذا ..؟ وأحل هذا . وشرع هذا ؟؟؟ . ولا أن نتوقف للسؤال عن الحكمة أو المصلحة في شيء مما شرعه الله: « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** » . ٣٦ — الأحزاب .

ولقد حرص الإسلام على مخالفة المسلم للكافر . وتجنب تقليده له في كثير من شئون الحياة — العامة والخاصة — وأمر المسلم بأن يتميز بالشخصية الإسلامية ... ممثلة في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم .... في سلوكه .. وأخلاقه ... وقوله وفعله وتقريره « **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** » ٢١ الأحزاب .

« **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » ٧ الحشر .

إذا فالنهي عن التقليد — في الشريعة الإسلامية — لا شك أن وراءه حكما ومصالح نعلم بعضها ويخفى علينا الكثير .... فمضار التقليد — عموماً —

من البدهيات التي يعلمها ويدركها ويحسها كل الناس ، أما تقليد المسلمين للكفار فضرره مشاهد من خلال الواقع ... والتجربة .... والاستقراءالتاريخي في حياة الأمم والحضارات — عامة — وتاريخ الأمة الإسلامية — خاصة .

يقول الإمام ابن تيمية بعد أن تكلم عن « مخالفة الكفار » :

« إذا فالمخالفة لهم فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا ... حتى ماهم عليه من إتقان دنياهم وأمور معاشهم قد يكون مضراً بآخرتنا ، أو بما هو أهمّ من أمور دنيانا ... فالمخالفة فيه صلاح لنا »(١) .

ثم يقول : « **إن جميع أعمال الكفار وأمورهم لا بد فيها من خلل يمنعها أن تتم لهم منفعة فيها ... ولو فرض صلاح شيء من أمورهم على التمام لاستحقوا بذلك ثواب الآخرة .... ولكن كل أمورهم .... إما فاسد وإما ناقص** »(٢) .

والنهي عن التقليد من مقاصد الشريعة ... إذ أن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ... وقد أكمل الله الشريعة للناس « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** » . ٣ المائدة .... وجعلها مشتملة على كل المصالح في كل الأزمان والأمكنة ولكل الناس ... فلا حاجة للاستمداد من الكفار أو تقليدهم .

وواضح ما يحدثه التقليد من خلل في شخصية المسلم ... من الشعور بالنقص والصغار .... والضعف والانهزامية ... ثم البعد والعزوف عن منهج الله وشرعه ... فقد أثبتت التجربة أن الإعجاب بالكفار وتقليدهم سبب لحبهم والثقة المطلقة بهم .... والتنكر للإسلام ورجاله وأبطاله ، وتراثه ... وجهل ذلك كله .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم — ص ٧٥ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٧٥ .

وهذا ما حدث ــ فعلا ــ في القرنين الأخيرين .... حين تخلى المسلمون عن رسالتهم وسلموا مقاليد (القافلة) إلى الكفار ... وحين استسلم المسلمون لسلطان الغرب (الكافر) ونهلوا من سمه الزعاف .

ولسنا بحاجة إلى أن نبرهن على أضرار التقليد وسلبياته على الأمة فقد حذر منه الإسلام والتاريخ والواقع شاهدان على ذلك ... « **فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور** » ٤٦ الحج .

حكم التقليد

الشريعة الإسلامية شريعة (ربانية) فهي شاملة كاملة ... لم تترك قضية ولا مشكلة في الحياة إلاّ وعالجتها .... ولا جانبا إلاّ وأحاطت به .

والتقليد (قضية) من القضايا التي تواجه الأمم والشعوب... والدول والأفراد كما أنه (عرض) لأمراض الضعف والسلبية والانهزامية التي تهدم كيان الأمم ... إذا لم تعالج .

لذلك اهتم به الإسلام كثيراً ... انطلاقاً من مبدأ «الوقاية خير من العلاج» ، عند الأطباء — وعلى قاعدة «سد الذريعة» — عند الأصوليين —.. فجعل له أحكاماً تختلف باختلاف الأحوال والظروف والمناسبات ...فراعى الحالة التي يكون عليها (المقلد) والحالة التي يكون عليها (المقلَّد) والعلاقة التي بينهما ... واختلاف «الدين» والوجهة ... الخ ...

فالشريعة الإسلامية غنية بالنصوص التي تنهي عن التقليد والتشبه — من الكتاب والسنة ومأثورات السلف — ... وحيث إن الأمة الإسلامية لم تواجه هذه الحالة ولم تصب بهذا المرض ... (مرض التقليد) — على المدى الواسع — إلاّ في القرنين الأخيرين — تقريباً — لذلك نجد الفقهاء المسلمين لم يكثروا من تفصيلات الأحكام الفقهية حوله(١) .

(١) هذا بالنسبة للتقليد الذي هو بمعنى التشبه والتبعية ... أما التقليد في اصطلاح الأصوليين فقد أشبع بحثاً ودراسة .

ولم أقف على كلام مفصل – عن الفقهاء(١) – بصدد الحكم الشرعي للتقليد بصوره وأشكاله كلها . .... اللهم إلاّ القليل ... ويبدو لي أن السبب الأول في ذلك – كما قلت – أن الأمة الإسلامية – والفقهاء – لم يواجهوا هذا المرض إلا بعد نضوب الاجتهاد الفقهي عند المسلمين ..... وعزل الفقه عن معالجة القضايا والمشاكل التي تواجه الأمة الإسلامية .

. . . .

ومن ناحية الحكم الشرعي للتقليد فهو يختلف باختلاف نوعه وكيفيته ومدى خطورته وأثره ... كما يختلف باختلاف المقلِّد والمقلَّد ... والعلاقة الشرعية بينهما ... واعتقادالمقلِّد في تقليده ... الخ .

فيكون التقليد كفراً إذا كان في أصول الإيمان وأسس العقيدة ، أو ضروريات الشريعة ، أو مسائل الغيب الثابتة بالنص ... وذلك كتقليد النصارى في عقيدة « التثليث » وتقليد الشيوعيين في إنكار النبوات والأديان . وكتقليد الدول (الكافرة) في تعطيل حدود الله واعتقاد عدم صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق ... وغير ذلك .

ويكون التقليد فسقاً حين يكون في الأخلاق الفاسدة وارتكاب المنكرات والمعاصي كشرب المسكرات ونحوه .

ويكون حـــراماً مطلقاً ... كموافقة الكفار في أعيادهم واحتفالاتهم وتقليدهم في ذلك .

ويكون خطأ مكروهاً كالتقليد غير المقصود ولا المتعمد في أمور الحياة العامة – إذا لم يمس العقيدة .

---

(١) أجود بحث رأيته بهذا الصدد كتاب ابن تيمية « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » .

وإذا خيف أن يؤدي التقليد إلى شيء من الأمور السابقة ... ــ الكفر أو الفسوق أو الحرمة أو الكراهة ــ اتخذ الحكم ذاته ... سداً للذريعة .

ويكون التقليد مباحاً بشروط وقيود ... كالتقليد في الإنتاج المادي والعلوم الإنسانية والتجريبية البحتة ... والتجارب العسكرية ونحوها ... وذلك بعد صياغتها صياغة إسلامية وتنقيتها من شوائب(الجاهلية) وتجريدها من مصالح(الكفار) ... وبألاّ تتعارض مع مصلحةٍ من المصالح الإسلامية الشرعية .

الباب الثاني

يبحث في : « أسباب تورط العالم الإسلامي في التقليد والتبعية للكفار »
ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول ـ الأسباب الداخلية :

ـ الانحراف العام عن الكتاب والسنة (الإسلام) .
ـ أفول الفكر الإسلامي البناء .
ـ تجميد الفقه الإسلامي عن القيام بتنظيم الحياة المتجددة .
ـ جهل المسلمين بحقيقة الإسلام كنظام للحياة .
ـ انبهار المسلمين بالتقدم المادى مع جهلهم بحقيقة الحضارة الغربية الجاهلية
ـ ضعف التربية والتوجيه للأجيال المسلمة الناشئة .
ـ سوء الأوضاع الداخلية .
ـ الاحتياج الذاتي في مجالات التقدم المادي .
ـ الاتجاهات الثورية العلمانية .
ـ أجهزة الإعلام المختلفة .
ـ أصحاب الديانات والفرق غير الإسلامية التي تعيش بين المسلمين .
ـ الحكومات القائمة في البلاد الإسلامية .

الفصل الثاني – الأسباب الخارجية :

– الاحتلال والتبشير .

– المستشرقون .

– الحملة الفرنسية على الشام ومصر .

– الجهود العالمية المركزة لتحطيم القوى الإسلامية . . . وأشهرها :
الصهيونية اليهودية . . . الصليبية النصرانية .... الماسونية .

الفصل الأول

الأسباب الداخلية

الانحراف العام عن الكتاب والسنة

إن هذا الانحراف هو الأصل الجامع لكل انحراف وقع فيه المسلمون بعد . . . فكل الأسباب التي سأذكرها – للتقليد – إنما هي أسباب تفصيلية لهذا السبب الأساسي .

فكتاب الله – القرآن – وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هما المصدران الأساسيان للمنهج الإسلامي – ذلك المنهج الكامل الشامل للحياة البشرية .... إنما أنزله الله إلى هذه الأرض ليواجه الحياة البشرية ويحكمها وينظمها ، ويقيمها على الحق والعدل ... ويسيرها – بنور الله – إلى السعادة في الدنيا والآخرة ، ويربطها بخالقها سبحانه وتعالى .

والسنة النبوية كذلك هي التطبيق والهدي العملي ... والمسلك المبين والشارح للقرآن الكريم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك** »(١) .

. . . .

(١) رواه أحمد في مسند العرباض بن سارية – المسند ج ٤ ص ١٢٦ الطبعة الأولى .

فحين ترك المسلمون التمسك بكتاب الله وسـنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونبذوهما وراءهم ظهرياً ... وقعوا في الذل والعبودية والخزى .... والهزائم العسكرية والفكرية والمعنوية ... والتفرق والشتات والتناحر — والاختلاف.... ومن ثم وقعوا في التبعية والولاء والتقليد الأعمى للكافرين والملحدين ، كما هي حالهم اليوم ولن يزالوا كذلك حتى يفيئوا إلى الله ويظهروا دينه ويعلوا كلمته ... فيطبقوا الإسـلام منهجاً لحياتهم ، ويجاهدوا في سبيل الله حتى يكون الحكم والدين كله لله .

أفول الفكر الإسلامي

لقد كان الفكر الإسلامي في العصور الإسلامية الأولى حياً نشطاً حافلا بالإبداع والتجديد والحيوية وقد ظل كذلك حتى أخذ المسلمون يستمدون مناهج التفكير من غير الأصول الإسلامية الصافية .... فأخذوا بالفلسفة والسفسطة .... والجدل ... وكثر اعتمادهم على التقليد المذهبي ووقع كثير منهم في الطرق الصوفية المتطرفة ... التي تشل الفكر وتغلق الفهم وتعزل الفرد عن واقع الحياة الإيجابية ...

فأصيب المسلمون بالخمول الفكري .... ومن ثم بالفراغ الفكري ، مما أوجد لديهم القابلية للتقليد الأعمى لغيرهم وهذا ما حدث بالفعل حين انفتح العالم الأسلامي على الإنتاج الغربي والحضارة الغربية الجاهلية بما تحمله من فلسفات وأفكار ومفاهيم وثقافة جديدة .

وهذا ما عناه الأستاذ محمد أسد حين قال : « ولقد مرت على العالم الإسلامي فترة من الركود .... فوثب الكثيرون من المسلمين إلى استنتاج سطحي خالص يتلخص في أن النظام الإسلامي في الاجتماع والاقتصاد لا يتفق مع مقتضيات التقدم ولذا يجب أن يحور حسب الأسس الغربية(١) .

ويقول الأستاذ مالك بن نبي : « وعند ما يكون الفكر الإسلامي في حالة أفول ــ كما هو حاله في الوقت الحاضر ــ فإنه يغرق في التصوف

(١) رسالة « التقليد » للأستاذ محمد أسد ص ٦ ــ ٧ .

وفي المبهم والمشوش وفي عدم الدقة وفي النزعة إلى التقليد الأعمى وفي الإعجاب بأشياء الغرب[1] .

وهكذا لما أفل الفكر الإسلامي الأصيل في العالم الأسلامي وجدت المدنية الغازية لها في القلوب مكاناً وفي النفوس قبولا وفي البلاد مأمناً ولا تزال كذلك ... ولن تزال حتى يستمد المسلمون منهج تفكيرهم من المصادر الإسلامية الأصيلة ... الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ...

(١) كتاب « مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي » للأستاذ مالك بن نبي ص ٢١ .

تجميد الفقه الإسلامي عن القيام بتنظيم الحياة المتجددة

فإنه تبعاً لأفول الفكر الإسلامي ونضوب الاستمداد من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح – أصيب الفقه الإسلامي بالتوقف ثم بالجمود .... وانقطع التجديد والإبداع .... وبقي المسلمون على حفظ الفروع والشروح والفتاوي القديمة وتركوا الأصول ومن ثم ماتت فيهم القدرة على الاجتهاد – اللهم من علماء قلائل – إلى أن جاءت فكرة إغلاق الاجتهاد في القرن الثامن الهجري وما بعده فأصيب الفقه بشلل خطير ....

وبقيت الأمة الإسلامية على هذه الحال إلى أن بدأ الانفتاح على الغرب بما يحمله من تجديد وتغير في كل مظاهر الحياة والإنتاج .... وأخذ المسلمون – بالطبع – يتأثرون بهذه الحياة الجديدة – خيرها وشرها – فتغير مجرى الحياة الفردية والاجتماعية والدولية فيهم ... واستجدت قضايا ومشكلات ومسائل كثيرة دون أن يحاول المسلمون – وللأسف – حلولها على ضوء الشريعة الإسلامية وبهذا وجدت عزلة رهيبة بين الفقه الإسلامي والحياة الجديدة حيث إن العلماء لم يبالوا كثيراً – أو لم يكن لديهم الوعي – لإرجاع الحياة إلى الأصول الإسلامية الأصلية وتنظيمها على ضوء الفقه الإسلامي الخصب ، ومن هنا وجدت الشبهات حول الفقه الإسلامي وأنه عاجز عن

مسايرة الحياة الجديدة .... وأن الشريعة الإسلامية لا تصلح للمدنية ـــ والحضارة والمجتمعات الراقية ... وأنها معوقة للتقدم والتطور ـ لأنها متحجرة تعيش في القرون الأولى .... قرون الجمال والسيوف والخيام !!

وهكذا وقع المسلمون في شراك التقليد الأعمى للكفار بسبب تجميد الفقه الإسلامي عن تنظيم الحياة الجديدة ....

جهل المسلمين بحقيقة الإسلام كنظام للحياة

عند ما أراد العالم الإسلامي أن ينهض من كبوته ليلحق بركب الأمة الغربية التي سبقته بعيداً في مضمار الاكتشافات العلمية والحياة المدنية ..... كان بعيداً عن روح الإسلام الحقيقية ، وأكثر المسلمين يتوارثون الإسلام توارثا تقليدياً ... وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم .... وقد كثرت فيهم الانحرافات والمفاهيم الخاطئة حول الإسلام مما جعلهم لا يقفون – بالإسلام – من الحضارة الغربية موقفاً إيجابياً وحازماً . ذلك بجهلهم الحقائق الأساسية في الإسلام

فهم يجهلون أن الإسلام نظام كامل وشامل لكل أجزاء الحياة البشرية الفردية والأسرية والاجتماعية والدولية والسياسية والاقتصادية ... الخ

كما أنهم يجهلون أن الإسلام هو دين المدنية والحضارة والاكتشافات العلمية بل إن الكثيرين منهم – مع الأسف – يظن أن الإسلام يقف موقفاً معادياً من المدنية والإنتاج الغربي الجديد والاكتشافات العلمية .

وانطلاقاً من هذه المفاهيم الخاطئة بنى المسلمون كيانهم وحياتهم الجديدة على النمط الغربي واستمدوا منه تلك الأنظمة العلمانية التي سارت عليها الدول الكافرة في الغرب ... والتي تعزل الدين عن الدولة .... ومع أن الحال تختلف فإن الدين الذي عزلته أوربا عن حياتها هو دين الكنيسة المتحجرة .... ذلكم الدين المزعوم الذي وقف في وجه التقدم فعلا ..... أما الإسلام فله موقف مغاير تماماً فهو .... نظام حياة ومنهج كامل للبشرية .... يبارك العلم والتقـــدم ويأمر به ويضبطه عن الانحرافات .... ويأمر بالاكتشافات العلمية وينميها ويدفعها لخدمة الخير والحق والعدل والأمن ....

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) ١٠٥ التوبة .

انبهار المسلمين بالتقدم المادي

وجهلهم بحقيقة الحضارة الغربية الجاهلية

إن العالم الإسلامي حين واجه الحضارة الغربية الغازية وجدها قد سبقته بعيداً في مضمار التقدم المادي والصناعي والاكتشافات العلمية مما جعل المسلمين يصابون بالانبهار المفاجيء ، إضافة إلى ما هم عليه من ركود وخمول وإخلاد – نتيجة لضعف الإيمان في قلوبهم .

فأدى هذا الانبهار إلى التسليم للحضارة الوافدة وما تحمله من آثار فكرية وسياسية ومدنية وعلمية . وإعماء البصائر والأبصار عن المناقشة .... وما الذي يؤخذ وما الذي يترك . وكيف تكون الاستفادة .

ثم الجهل بحقيقة هذه الحضارة الوافدة وأسسها وأهدافها وأنها حضارة جاهلية قامت على أنقاض الحضارات الجاهلية الأولى الرومانية واليونانية ... وأنها تحقق على يد أصحابها الكفار ما يريدونه من الوقوف في وجه الإسلام . والسيطرة على الشعوب واغتصاب خيرات الأرض من أصحابها ... وأنها تحمل خراب الأخلاق والقيم والديار ... وتبذر – بمبادئها وفلسفاتها – الشقاق والفرقة رغم ما تحمله من مظاهر براقة .

وهكذا انخدع كثير من المسلمين – ولا يزال البعض – بهذه الحضارة الجاهلية فوقعوا في أحضانها وساءت مصيراً ... ولن يكون لهم خلاص من عبوديتهم إلا بالإسلام .

ضعف التربية والتوجيه للأجيال الناشئة

التربية والتوجيه هما الدعامتان الأساسيتان لإعداد الأجيال . وكل أمة من الأمم القوية إنما تربي أجيالها لتقوم بنهضتها وتقود حياتها على أحسن وجه تريده .... لذلك تربي الأمم القوية أجيالها على ضوء مبادئها – وأديانها ..... ومعتقداتها – وأهدافها .... لا غير .

وكذلك كانت الأمة الإسلامية تربي أجيالها قروناً طويلة على الدين والخلق والفضيلة ... والقوة والفتوة والإقدام ... وإعدادها للجهاد وأعباء الحياة الصعبة ، فكان شبابها ينطلقون من ساحات الجامعات وحلق العلم والذكر متسابقين إلى ساحات ومرابط (رباط) الثغور .... حيث كانت تلك تربيتهم وإعدادهم ... حتى جاءت القرون المتأخرة ... فتقلصت الجامعات وضمرت حلق الذكر والدراسة وقل شأن العلم والتربية .... وقل التوجيه السليم والإعداد القوي للأجيال المسلمة ... فظهرت أجيال ضعيفة لم تترب على القوة والفتوة والعلم ولم تستطع توجيه من جاء بعدها من أجيال ... فأصيبت الأمة الإسلامية بالوهن والانهزامية والتشتيت .

إلى أن برزت نتائج الاكتشافات العلمية الغربية وبدائع الصناعات الحديثة ومظاهر الحياة الأوروبية البراقة والمسلمون على تلك الحال فانبهرت الأجيال المسلمة ...من مظاهر الحياة الجديدة ... حيث فقدت التربية والتوجيه اللذين يؤهلانها للموقف الإيجابي أمام تلك المظاهر ... فوقعت في أسر التقليد والانبهار الأعمى شر وقعة ....ولن تخرج من هذا المأزق إلا بالتربية والتوجيه والإعداد الإسلامي القوي .

سوء الأوضاع الداخلية

بالرغم من أن الأمة الإسلامية – في عصورها الأولى– تعرضت لضربات قاسية وواجهت تيارات عنيفة من الداخل والخارج للقضاء على كيانها – إلا أنها استطاعت أن تصمد أمام هذه التيارات طويلا طويلا ...

وبقيت شامخة مهيبة الجانب إلى أن بدأت هي نفسها تتخلى عن مقومات عزها وصمودها ، فدب الضعف فيها رويداً رويداً إلى أن وصلت – فيما بعد القرن العاشر الهجري – إلى حالة من السوء والتردي يرثى لها .

وبالرغم من أن الخلافة العثمانية استطاعت أن توحد أكثر بقاع العالم الإسلامي سياسياً وأن تدافع عن البلاد الإسلامية مدة قرون طويلة إلا أن الأوضاع الداخلية من النواحي العقائدية والفكرية والتربوية والاقتصادية والأدبية أخذت تزداد سوءاً وتعقيداً فكثرت البدع والخرافات والنزعات الصوفية المتطرفة وانتشرت القبورية والأضرحة وتعلق العامة بالأساطير والسحر والشعوذة وأطبق الجهل .

وقل الإبداع الفكري والإنتاج التأليفي والثقافي كما قلت العناية بالعلوم الإسلامية كالأصول وغيره والعلوم الطبيعية من طب وفلك وحساب .

وانحسرت المدارس وحلقات العلم وقلت حركة الرحلات العلمية العظيمة التي تميز بها المسلمون قروناً طويلة ومن ثم قل قدر العلماء واحترامهم بين العامة والخاصة فضعف طلاب العلم لقلة العناية بهم .

وجمدت الحياة الاقتصادية وانشلت الحركات التجارية فكثر الفقر

والعوز وانتشرت الأمراض وقلت العناية بالطب ودراسته .

كذلك العربية وعلومها وأدبها وشعرها ونثرها انحسرت كثيراً . وتعددت اللهجات البعيدة عن الفصحى وأصيب النثر بالركاكة والسجع المتكلف وقل الشعر الجذل القوي .

وعلى العموم انحدرت أوضاع المجتمعات الإسلامية المتناثرة هنا وهناك في الوقت الذي بدأت فيه أوربا تسير على النهضة المادية الحديثة .... وتخطو خطوات سريعة في سبيل الاكتشافات العلمية والاختراعات الجديدة ...

وصاحب ذلك – بالتبع . دقة في التنظيم الإداري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي وأساليب المعيشة .... والعناية الصحية .

فلما انفتح المسلمون على هذا الواقع الذي تعيشه أوربا مقابل ما هم عليه من أوضاع فوضوية خاصة النواحي التالية :

الاقتصادية والإدارية والصحية – فأقبلوا على هذا الوضع الجديد الذي تعيشه أوربا ناشدين فيه الإصلاح والتقدم الذي يسير بهم نحو حياة أفضل وهيهات أن يتحقق لهم ذلك .

فإن الله قد رسم للمسلمين منهجاً فيه سعادتهم وتقدمهم ... أفضل مما سلكته أوربا الكافرة ... فإلى أن يطبق المسلمون هذه الحقيقة .... إن شاء الله..

الاحتياج الذاتي في مجالات التقدم المادي

ذكرت — آنفاً — أن أوضاع المسلمين قد ساءت كثيراً وأن أوربا قد سبقتهم في أكثر ميادين الحياة العامة ، مما جعلهم بأمس الحاجة إلى سد الهوة الواسعة التي بينهم وبين هذا التقدم .

وكان الأجدر بالمسلمين أن يشبعوا هذا الاحتياج بجهودهم الذاتية بهدى من دينهم ومقومات حضارتهم وتراثهم الخصب ليبدعوا من حيث انتهى الغربيون وإن كلفهم ذلك كثيراً ، لكن الأمر لم يكن كذلك — وللأسف — فانهال المسلمون للأخذ بالجاهز المصنّع من الغرب فأصيبوا بالعجز والتواكل واليأس ... وربما ظن الكثيرون آنذاك — عن جهل — أن المسألة لا تعدو استيراد الإنتاج الصناعي والاستفادة منه .... لكنه لم يعد الأمر كذلك كما سنرى بعد .

وأهم شيء كانت الأمة الإسلامية تفتقده وتحتاجه بعد انفتاحها على الغرب الوسائل العسكرية ، ذلك لأنها شعرت بالخوف والرهبة تجاه القوات العسكرية الحديثة فاضطروا لتملكها للدفاع عن كيانهم ... ومع أن المصلحة تحتم عليهم أن يأخذوا بنفس الأسباب التي بني عليها الغربيون إنتاجهم وصناعتهم ليقيموا لأنفسهم قوة ذاتية إلا أنهم لم يفعلوا ذلك بل أخذوا — حتى الآن — يستوردون ما لا يجدي شيئاً أمام قوة (الكفار)

الغربيين ، ومن هنا بقي المسلمون في ضعفهم وحاجتهم إلى ماينتجه أولئك. مما أوقعهم في شراك التبعية والتقليد الأعمى .

ولن تستغني الأمة الإسلامية استغناء ذاتياً حتى تفيء إلى دينها وتاريخها وتعتمد على الله أولاً في بناء حياتها الجديدة ثم تقيم حياتها بنفسها وجهودها الخاصة مهما كلفها ذلك من تضحيات .

الاتجاهات الثورية العلمانية
وما قامت به من انقلابات وثورات

إن تاريخ الثورات والانقلابات المختلفة – الكثيرة – في العالم الإسلامي تاريخ أسود لا يزال يكتنفه كثير من الغموض ولم تكتشف أكثر الحقائق عنه بعد ... فلم يظهر للشعوب الإسلامية منها إلا الشكليات الدعائية والجعجعة التي تقوم عليها .

وفي السنوات الأخيرة – خاصة بعد نهاية الحكم الناصري – كشفت الوثائق السياسية العالمية بعض تاريخ الثورات – والاتجاهات الثورية في العالم الإسلامي – حيث كشفت هذه الوثائق أن هذه الاتجاهات والثورات والانقلابات كانت تدرس وتنظم وتدبر هناك – في الغرب – وتقوم المخابرات والسفارات الأجنبية بالإشراف على التنفيذ ... بينما يكون أبطال هذا الدور هم أبناء الأمة – من المنهزمين – الذين تربوا على المناهج والأفكار والثقافات الغربية الجاهلية أو الشيوعية الملحدة .

إذا فلا غرابة أن تكون هذه الاتجاهات الثورية الجسر الذي يربط الدول الإسلامية بالحياة الغربية الجاهلية وتعلن ولاءها وتبعتها للكفار .... ثم هي تتسابق إلى عقد العلاقات والصداقات مع الدول الجاهلية ... وأكثر

من يبارك هذه الاتجاهات من أبناء المسلمين هم أولئك المنهزمون المعجبون بالمظاهر الغربية والذين يحبون الشهوات والانحلال الخلقي .

لأن الاتجاهات الثورية في العـــالم الإسلامي تحقق أسباب الانحلال والفساد وتجعل ذلك من برامجها الإصلاحية الأساسية ... كل ذلك : تقليد أعمى للغرب الكافر ... وتحدٍّ سافر لأخلاق الأمة ودينها .

أجهزة الإعلام المختلفة

إن أجهزة الإعلام ووسائله في العالم الإسلامي قامت بأخطر دور في حركة التشكيك والبلبلة الفكرية وإبراز الحياة على المظهر (اللاديني) الذي يجعلها غير إسلامية وتضليل الأجيال عن حقيقة التقليد الأعمى الذي يساقون إليه سوق السوائم .

وقد أثبت لنا التاريخ القريب – الذي تعيشه الأمة الآن – أن هذا الوضع الشاذ الذي أصاب أمتنا قد لعبت فيه الصحافة والإذاعة والتلفاز وحركة النشر والتأليف والترجمة والتمثيل والرواية دوراً خطيراً يعتبر أعظم أسباب الكارثة التي حدثت في ٥ حزيران – عام ١٩٦٧ م(١)

بل وفي أثناء الضربة المنكرة التي وجهها اليهود إلى العرب كانت أجهزة الإعلام تمارس دور التضليل لتجعل من الهزيمة نصراً مؤزراً ! !

وحين نتصفح تاريخ الإعلام في العالم الإسلامي – لا سيما الصحف والمجلات – نعرف الدور الكبير الذي قامت به في حركة (التغريب) والتقليد للغرب الجاهلي .سواء فيما تكتبه وتنشره وما تحمله وتنقله من آراء وأفكار وما تدعو إليه من مذاهب ومظاهر ، وما تبرزه في شكلها ومنهجها من تقليد

---

(١) انظر كتاب : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للأستاذ أبي الحسن الندوي ص ١٢٧ – ١٣٠ .

وإعجاب وتزيين للحياة الغربية الجاهلية. فتصور الحياة الفردية والاجتماعية مقرونة بالصور الخليعة العارية والأزياء الفاضحة والمواقف التي لا تجوز شرعاً .

وقد اعتمد الكفار المحتلون والمبشرون والمخططات اليهودية الإعلامية التخريبية على أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي اعتماداً كبيراً وعلقوا عليها آمالهم بل حققوا بها أهدافهم في حركة التغريب وإفساد الأخلاق لذلك يقول المستشرق جيب(إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي(١) .

(١) كتاب : الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر . للدكتور محمد محمد حسين ص ٢١٧ ج ٢ .

أصحاب الديانات والفرق غير الإسلامية

التي تعيش داخل العالم الإسلامي

توجد داخل العالم الإسلامي ديانات كثيرة عاشت تحت ظل الحضارة الإسلامية آمنة قروناً طويلة ولا تزال . ومن أهمها .

اليهودية والنصرانية .

كما وجدت فرق كثيرة انشقت على المسلمين وخرجت من الإسلام ومن أهمها في العصر الحاضر القاديانية والبهائية .

أما اليهود والنصارى فهم بالرغم من أنهم عاشوا بين المسلمين آمنين مطمئنين يتمتعون بحرية مُرضية إلا أنهم كانوا إذا سنحت لهم الفرص قلبوا للمسلمين ظهر المجن ولم يألوا جهداً في التأليب والإرجاف بكل مناسبة ضد المسلمين وقد قال الله تعالى فيهم :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون .

ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط » . الآيات من ١١٩ ــ ١٢١ : آل عمران .

وقد استفحل شرهم كثيراً بعد الحروب الصليبية حين هاجر كثير من النصاري من أوربا إلى أرض فلسطين ولبنان فكان لهم الدور الأكبر في في حركة التغريب والمذاهب والاتجاهات الهدامة في العالم الإسلامي .

فهمأول من بدأ تأسيس الجمعيات السرية العلمانية التي قوضت الخلافة العثمانية ثم ساهموا مساهمة كبيرة في بناء المذاهب والأحزاب العلمانية .

وكانوا ينطلقون في أهدافهم من أوربا لذلك هم يباركون الاحتلال أينما كانوا ويبذلون جهودهم في توطيد أركانه ومساعدته ضد المسلمين .

ولقد ساهموا في تأسيس أكثر الصحف والمجلات ودور النشر الانهزامية في مصر والشام ولبنان .

ولقد اعتمدت عليهم أوربا اعتماداً أساسياً في تنفيذ مخططاتها وأهدافها في العالم الإسلامي .

وأما القاديانية والبهائية فهما فرقتان أنشئتا لتحطيم الكيان الإسلامي وتفريق كلمة المسلمين وتشتيت وحدتهم من الداخل ومع أن لكل واحدة منهما طريقة وأسلوبا ومذهبا معينا إلا أنهما يلتقيان في الغاية والأهداف .

لذلك نجد أن الكفار المحتلين يعتمدون عليهما في تنفيذ برامجهم التخريبية في صفوف المسلمين للقضاء على مقومات العزة والاستقلال الإسلامي والقضاء على الروح لأخلاق الإسلامية التي تهدد كيان الحضارة الغربية وإيقاع الأمة الإسلامية في مرق الانقسامات العقائدية المذهبية .

لذا نجد كلتا الفرقتين ترحب بحركة التقليد الأعمى للكفار بل إن القاديانية كانت تحارب المسلمين في صفوف الانجليز وتدعو إلى الإبقاء على الاحتلال البريطاني — ولا غرو فإن بريطانيا هي التي ساعدت — بل نمت هذه الفرقة ومكنت لها من الانتشار والدعاية والحماية وقد لقيت أتباعاً من عامة المسلمين لأنها تدعي تجديد الإسلام وإحيائه .

الحكومات القائمة في العالم الإسلامي

لقد حرص الكفار — المحتلون — الذين سيطروا على العالم الإسلامي بالقوة العسكرية عند انسحابهم من أي بلد مسلم على أن يسلّموا أزمّة الحكم فيه إلى من يخدم مصالحهم بأي أسلوب وكان المهم أن يكون ممن ينفذون برامج التغريب بأمانة ودقة وإن أعلن عليهم الحرب الكلامية كما يفعل الكثيرون من الحكام .

ولا يهمنا في هذا البحث ، الكلام عن أنواع العمالة والولاء — للكفار — التي تسابق إليها الحكومات في العالم الإسلامي والمقام لا يتسع لتوضيح هذا الجانب . إنما الذي يهمنا أن نوضح مساهمة هذه الحكومات في فرض التقليد الأعمى للكفار وإدخال حركة التغريب وإبعاد المنهج الإسلامي عن مجال الحياة وتحطيم معنويات المسلمين وقواهم والعبث بمقدرات الشعوب الإسلامية وتضليلها عن حقيقة ما تساق إليه من ولاء وتبعية للكفار ، وأكثر من ذلك فرض الحياة الغربية المادية عليها .

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي فيما تبذله الحكومات في العالم الإسلامي لتطبيق تجارب الحياة الغربية على المسلمين .

« إن هذه المحاولة المخلصة لتطبيق تجارب الحياة الأوربية في بلد إسلامي تبرهن على أن قادة هذه البلاد — وإن دوّت أسماؤهم في العالم ونادوا الجماهير — لا يزالون رغم ثقافتهم العصرية الواسعة في دور الطفولة والعقلية

التي يكثر فيها التقليد والمحاكاة والتلمذة المتواضعة لأساتذتهم الغربيين وإن شخصياتهم مجردة عن كل ابتكار وعن القدرة على الإنتاج الأصيل والإبداع وعن التفكير الحر ...

وأنهم فضلاً عن جهلهم أو تجاهلهم لطبيعة الشعـــوب التي يحكمونها ولمواهبها وطاقاتها لايسايرون الفكر الأوربي في تقدمه وأطواره ولا يعرفون مايعيش فيه المجتمع الأوربي من قلق وتذمر وبحث عن الإيمان والروحانية»(١) .

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ١٥٤ .

الفصل الثاني

الأسباب الخارجية

الاحتلال والتبشير :

لقد بذل الكفار – أصحاب الحضارة الغربية الجاهلية – مجهودات ضخمة لفرض حياتهم وسيطرتهم على المسلمين ومحو العقيدة الإسلامية من قلوبهم وإبعادها عن واقع الحياة لأنها العقيدة الوحيدة التي تهدد كيانهم ... فسلكوا لذلك طريقين .

أحدهما الاحتلال المباشر وما يتبعه من السيطرة السياسية والغزو الفكري والثقافي والاقتصادي .

والثاني حركة التبشير النصرانية لهدم الكيان الإسلامي من الداخل وبشتى الوسائل والطرق السلمية لغزو الأفكار والقلوب بطريقة سحرية جذابة .

وقد سار هذا الغزو والتبشير بشتى أشكاله ضمن مخطط رهيب ومركز يشتمل على برامج هدامة تشيب الوليد ومنها(١) :

(١) انظر تفصيل هذه المخططات في (المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام) تأليف محمد محمود الصواف والغارة على العالم الإسلامي . تأليف ا . ل شاتليه تعريب محب الدين الخطيب وعبد الصبور شاهين وغيرهما من الكتب .

انتشار مئات الآلاف من المبشرين النصارى في كل أقطار العالم الإسلامي المترامي الأطراف وبالأخص البلدان التي يخيم فيها الجهل والفقر والمرض للاهتمام بأحوال هذه الشعوب ومن ثم التأثير على عواطفهم وجذبهم إلى النصرانية ، لذلك اهتم المبشرون بأفريقيا وأندونسيا والهند ، وقد اتخذت الإرساليات التبشيرية وسائل كثيرة لتنفيذ برامجها ، عن طريق المدارس والمستشفيات وممارسة الطب ، ودور النشر والسفارات والهيئات الدولية والجمعيات الخيرية والتجارية المختلفة ... ووسائل الإعلام من إذاعة وتلفاز وسينما ومسرح ، والمنظمات والبعثات الدولية والعالمية ، والشركات الغربية المختلفة التي تعمل في شتى المشاريع والمؤسسات في العالم الإسلامي ، وغير ذلك من الوسائل الكثيرة .

فتح المدارس الأجنبية — في العالم الإسلامي — والإكثار منها على مختلف المراحل الدراسية وإظهارها بمظهر يفوق المدارس الأهلية والوطنية التي يقوم عليها المسلمون — إن وجدت — والإكثار من الأساتذة — المبشرين — أو من يخدمهم من غيرهم .

إرسال المبتعثين — من أبناء المسلمين — إلى دول الغرب للدراسة هناك بشتى أنواع الدراسات ليأتوا — في الغالب — محملين بالسموم الغربية ويتولوا حركة التغريب في بلدانهم ، وقد سلكت الدول الغربية أسلوباً عجيباً مع هؤلاء المبتعثين — فالذين ينبغون منهم ويبرزون في تخصصاتهم فإما أن تغريهم بشتى المغريات لتستفيد منهم ويقيموا في الغرب فإن وجدت عند أحدهم إخلاصاً لبلاده ويمكن أن يكون له دور قوي في نهضتها فإن مصيره الاغتيال وإذا قدرت له السلامة فلا بد أن تعمل على عرقلة جهوده في بلده أو التضييق عليه حتى يفرَّ من بلاده كما فعلت الحكومة المصرية أيام عبد الناصر مع كثيرين من المفكرين وعلماء الذرة المصريين !!!

عرقلة المشاريع الإنمائية والتعميرية والصناعية في العالم الإسلامي ليظل محتاجا إلى الغـــرب في كل شيء ويستورد كل شيء ، فقـــد عمل الغربيون الكفار على عـــدم توفير الدراسات العلمية الكافية في العـــالم الإسلامي ليظل لذلك يرسل فلذات أكباده ليربيهم الكافر على عينه .... فيحارب بهم دينهم .

العمل على ترويج الانحراف الخلقي والفكري بشتى الوسائل : بنشر الكتب المضللة والمنحرفة والجنسية والملحدة ... والجرائد والمجلات والصحف المنحرفة وتشجيعها ودعمها وكذلك دور السينما والتلفاز والإذاعة وتشجيع الكتاب المنحرفين وبث الدعاية لهم .

ترويج المسكرات : والمخدرات ودور البغاء والعهر والفجور وتشجيع العري والميوعة والتخنث والرقص والاختلاط ... بشتى الوسائل المغرية وإغداق الأموال الطائلة لهذا الترويج باسم اللهو البريء حيناً والمحرم أحياناً .

السيطرة الاقتصادية على خيرات العالم الإسلامي وربط المصالح الدولية الاقتصادية بالغرب الكافر ليبقى يستثمر خيرات البلاد والشعوب الإسلامية ويستنزف طاقاتها ويشيع الفقر والبطالة فيها ... ويعمل جاهداً على عدم توفير الخدمات الفنية والتكنولوجية من المسلمين أنفسهم .

العمل على إحياء وتمجيد الحضارات الجاهلية القديمة كالفرعونية والبابلية والرومانية ليقل ولاء المسلمين للإسلام ... والحط من قيمة الحضارة الإسلامية .

العمل على إلغـــاء المحاكم الشرعية واستبدالها بالمحاكم الوضعية ... ومن ثم الحط من قيمة الشريعة الإسلامية وترويج فكرة عجز الفقهاء المسلمين – بل الفقه الإسلامي – عن حل المشكلات الحديثة وعرقلة الجهود التي التي تبذل لتطبيق الشريعة الإسلامية على الحياة والدولة .

القضاء على الكيان الأسري المتين وإفساد المرأة : المسلمة لتربي الأجيال تربية مادية منحرفة ... والقضاء على معاني الرجولة ... والفضيلة ... والحياء والفتوة الإسلامية التي تحلى بها الشباب المسلم قديماً .

تطبيق برامج التعليم والتربية الجاهلية التي رسمها الكفار للمسلين .

ترويج الدعاية للكتلة الغربية الرأسمالية أو الكتلة الشرقية الشيوعية وتمجيد قوادها وأقطابها ... والإعجاب بطريقة الحياة فيها .... وإشاعة الرعب فيها والرغبة إليها والتسابق على صداقاتها والتماس رضاها ... وأن الحياة والرزق والتوفيق متوقف على اللجوء إليها ... والاستعانة بها عند الملمات وباختصار اتخاذها آلهة من دون الله كما هو واقع الحكومات في العالم الإسلامي .

وضع بذور المذاهب والأحزاب : الهدامة والمنحرفة والعمل على تمكينها من المراكز القيادية في البلاد الإسلامية وتشجيعها وحمايتها ... كالاشتراكية والبعثية والقاديانية والبهائية والشيوعية والأحزاب المختلفة لتبقى الأمة في انقسامات سياسية وطائفية تشغلها عن دينها الحق .... ولتسير راغمة — في ركب الحضارة الغربية الجاهلية والتقليد الأعمى .

العمل على فصل الدين (الإسلام) عن الدولة والحياة وإبعـــاد القرآن والسنة والدراسات الشرعية عن مناهج التعليم والتوجيه والإعلام لتبقى مجرد ومضات روحية للبركة .

ثم الحط من علماء الشريعة والاستهتار بهم ، وعزلهم عن مراكز القيادة والتأثير في الأمة وتسميتهم (رجال الدين) .

بذل كل المحاولات لتشويه التاريخ الإسلامي والحط من شأن الحضارة الإسلامية وإخضاع الأحداث التاريخية الإسلامية للتفسير الغربي الجاهلي ليضعف اتصال الأجيال المسلمة بتاريخها وافتخارها به .

إثارة المسلمين ضد الخلافة العثمانية وتحريضهم على الثورة عليها وكما فعلوا ذلك شغلوهم عن قضية الخلافة الإسلامية البديلة وأشعلوا القوميات والوطنيات الضيقة وعملوا على تشجيع الأفكار والمذاهب والأحزاب المعارضة لفكرة الوحدة الإسلامية ، وتفريق كلمة المسلمين بكل وسيلة .

محاربة اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) ومحاولة محوها بفرض اللغات الغربية على البلاد الإسلامية المحتلة كما عملت فرنسا الصليبية في الجزائر والمغرب وبريطانيا في الهند وباكستان .

المستشرقون(١) :

لقد حرص الغربيون – بعد نهضتهم المادية – على دراسة التاريخ والتراث الإسلاميين وأحوال العالم الإسلامي في ماضيه وحاضره دراسة تفصيلية وتحليلية ، تلفت النظر وتستدعي الوقوف عندها لاستنتاج الدوافع والأهداف من وراء هذا الاهتمام ، لا سيما وأن محترفي الاستشراق هم من أكابر الأساتذة والمفكرين في الغرب ، لكنه سرعان ما ينقضي عجبنا من هذا الاهتمام عند ما نرى الآثار التي تركها هؤلاء المستشرقون في دراساتهم المتعددة إنهم كما قال الله عنهم : « **لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر** » الآية ١١٨ آل عمران .

إن نتائج دراسة المستشرقين للإسلام والتراث والتاريخ الإسلامي حملت في طياتها السم الزعاف متمثلة في نظراتهم وآرائهم واستنتاجاتهم المنحرفة لأنهم كفار لا يدينون بدين الإسلام ، ولما تحمله نفوسهم من حقد وبغضاء للإسلام وأهله – كما ذكر الله عنهم – ثم ما أثاروه في كتاباتهم حوله من شبهات ودسائس وأكاذيب ومفتريات وطعون وتشويهات ، وتلقينهم ذلك الأجيال المسلمة حين كانت لهم الكلمة والسيطرة وما كتبوه في ذلك من

(١) انظر – الاستشراق والمستشرقون – رسالة للدكتور مصطفى السباعي .

مؤلفات ونشرات ومقالات كثيرة تشكل الجزء الأكبر في المكتبة الإسلامية الحديثة ثم تأثيرهم على كثير من المفكرين والأدباء والمثقفين المسلمين الذين كتبوا في ذلك الكثير ، من وجهة نظرهم هم — المستشرقين — كل ذلك جعل الأجيال المسلمة تنظر لتاريخها وتراثها ودينها نظرة سلبية وتقف من ذلك موقفاً متخاذلاً فأصيبت بوصمة التقليد والتبعية للغربيين الكافرين .

الحملة الفرنسية على مصر والشام :

وهي تلك الحملة التي قادها نابليون واجتاح بها بلاد الشام ومصر ، فإنها بالرغم من أنها لم تدم طويلاً إلا أن تأثيرها كان كبيراً جداً ، ذلك أن العالم الإسلامي قبل هذه الحملة أي قبل عام ١٧٩٨ م كان مغلقاً لم تتشابك صلاته مع الغرب وذلك لعـدم ظهور وسـائل المواصلات السريعة التي تجعل الاحتكاك بين الغرب والشرق كثيراً كما هو اليوم ، مما جعل المسلمين ينبهرون مما تحمله الحملة الفرنسية من وسائل حديثة عسكرية وعلمية ، من سلاح ومعامل ووسائل تكنولوجية راقية .

وقد ساق نابليون حشداً كبيراً من العلماء والمفكرين والخبراء والفنيين والعباقرة في شتى مجالات الحياة مما كان له أكبر الأثر على العلماء والقادة والوجهاء المصريين الذين شاهدوا ذلك والتقوا بمن جاء مع الحملة من أولئك ورأوا كثيراً من نماذج الصناعات والاكتشافات العلمية الحديثة التي هي فوق تصوراتهم ، وقد كان المسلمون في هذه الآونة على مستوى مؤلم من الانحطاط والتأخر والجمود والجهل بالإسلام كنظام للحياة ، فصار انبهارهم شديداً بمظاهر المدنية الغربية .

فحرص نابليون على دراسة أحوال العالم الإسلامي — خاصة مصر — لأنها معقل الإسلام آنذاك مستعيناً بمن معه من خبراء وعلماء جاء بهم لهذا الشأن وعرف نواحي الضعف لدى المسلمين آنذاك فانتهزها للتأثير عليهم وكان

ذلك حيث بدأ المصريون فعلاً في التماس طريق النهضة والمدنية وكذلك بقية أقطاب العالم الإسلامي فبدأت بوادر النهضة إلا أنها مع الأسف لم تتخذ الإسلام لها منهاجاً ولم تسر بهدى من الله بل بدأت من نقطة التقليد البليد للغرب الذي سبقها في هذا الميدان .

الجهود العالمية المركزة لتحطيم القوى الإسلامية :

إن المعسكر الغربي الرأسمالي والشرقي الشيوعي رغم ما بينهما من عداء وتحديات إلا أنهما اجتمعا على بذل الجهود المشتركة لتحطيم القوى الإسلامية وتقسيم البلدان الإسلامية إلى مناطق استراتيجية بينهما . ولا غرابة في ذلك فإن الكفر ملّة واحدة والجميع تتحكم بهم القوى الصهيونية اليهودية المقنعة حيناً والسافرة أحياناً .

وتتمثل هذه الجهود العالمية لتحطيم القوى الإسلامية في القوى التالية :

القوى الصهيونية اليهودية ، فإن مواقف اليهـــود من كل الأمم ومن الإسلام بالأخص معروفة في التاريخ ، وكلها مواقف تخريبية سوداء .

وتتمثل المخططات اليهودية التخريبية في القوى الصهيونية المنتشرة في العالم والتي تتحكم بجزء كبير من القوى العالمية الاقتصادية والسياسية والإعلامية فهي تسعى دائماً إلى كل ما هو مضرٌ بالعالم الإسلامي وتعمل على بقائه في متاهات الانحراف والتبعية والبعد عن الإسلام .

القوى الصليبية النصرانية الحاقدة ، فإن الغـــرب النصراني لم ينس الحروب الصليبية التي خاضها ضد العالم الإسلامي ، ولن ينسى حطين وصلاح الدين وقطز والظاهر بيبرس فضلا عن العداء الديني الذي تمليه نفوس رجال الكنيسة وأهواؤهم ثم الطمع المادي الجشع ، كل ذلك يدفع الغرب النصراني لأن يقف في وجه اليقظة الإسلامية البناءة وسيعمل دائماً على الحيلولة دون اكتفاء المسلمين بجهودهم الخاصة في كل شيء ، وليبقى

المسلمون على ضعفهم وتواكلهم وحاجتهم إلى الغرب يستوردون منه كل شيء ويقلدونه في كل ما هو سخيف وقاتل .

ثم **جهود الماسونية** وهي من أخطر القوى اليهودية السرية — بل هي أخطرها . فقد كانت المحافل الماسونية في العالم عموماً وفي العالم الإسلامي على وجه الخصوص عبارة عن السرطان الفتاك داخل جسم الإنسانية ، تمارس نشاطها بأسلوب ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب والفساد والإفساد ، فلهذه المحافل جهود سيئة فتاكة في العـالم الإسلامي — فكانت تعمل على قتل الروح الإسلامية ، وعرقلة كل الجهود الإصلاحية في الداخل وتربية أعضائها من أبناء المسلمين على حب الإفساد والهدم والتخريب ، ثم تمكينهم من مراكز الحكم والقيادة والتوجيه في أوطانهم ، وتعمل لذلك بأساليب عجيبة كثير منها لا يزال يكتنفه الغموض ، ذلك لأنها تربي الأعضاء الماسونيين على كتم السِّر وتجعل حياتهم رهينة بذلك ، ومع هذا فقد كانت تقتنص كبار الشخصيات والنابهين من أبناء المسلمين وتضمهم في سلكها بعد أن تتأكد من عدمالتزامهم الصحيح للإسلام ، وهذا ما جعلها تفتك بداخل الجسم الإسلامي فتكاً لا يقل عن فتك السبئية الأولى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الباب الثالث

يبحث في

نتائج تقليد المسلمين للغرب (الكافر) وآثاره

ويشتمل على المباحث التالية :

- درس تاريخي في التقليد .
- أثر التقليد في حياة الأمم والشعوب عامة .
- أثر التقليد في حياة الأمة الإسلامية .

  أثره في العقيدة والعبادة .

  أثره من الناحية الخلقية .

  أثره من الناحية الفكرية والنفسية .

  أثره في الأدب والثقافة واللغة .

  أثره على التاريخ الإسلامي .

  أثره في الأنظمة والتشريع .

  أثره في المظاهر الشكلية .

– وجود الانحرافات الخطيرة التي غيرت مجرى الحياة الإسلامية مثل :

فصل الدين عن الدولة .

قضية تحرير المرأة .

حركة التشكيك العامة .

التربية والتعليم الجاهليان .

ظاهرة الصراع بين القديم والجديد .

ظهور فكرة الحرية والتجرد .

ظهور الحركات والمذاهب الهدامة .

درس تاريخي في التقليد

كان العرب في شبه الجزيرة العربية – قبل الإسلام – على الحنيفية ملّة إبراهيم عليه السلام .

فأول انحراف لهم عن هذه الملّة كان سببه التقليد الأعمى لبعض الأمم الوثنية المجاورة لهم ، وقصة ذلك معروفة في كتب التاريخ وهي : أن عمرو بن لحي – من سادة العرب – رأى أهل البلقاء بالشام يعبدون الأوثان ويؤدون عبادات وطقوساً لم يكن يعرفها ويشرعون لأنفسهم بأهوائهم ، فسألهم ماذا يفعلون ؟ قالوا : هذه أصنام نعبدها ونستغيث بها فنمطر ونستنصرها فتنصرنا ، فسألهم أن يعطوه صنماً يعبده العرب من قومه وغيرهم فأعطوه هُبل وكان أكثر العرب قد أخذوا الحنيفية وراثة مما جعل عندهم قابلية سريعة للتقليد وعبادة الأصنام(١) .

فحين نادى عمرو بن لحي بهذه الفكرة – تقدس الأصنام – استجاب له أكثر العرب ولقيت شبهته قبولا في نفوس الكثير ، وصحب هذه الوثنية الجديدة التي جاءت عن طريق التقليد تشريعات جديدة أيضاً – كما كان الوثنيون يفعلون – فأخذ عمرو بن لحي والسادة الآخرون والكهان والسحرة

(١) انظر تفاصيل القصة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن إسحاق . تهذيب ابن هشام جزء (١) ص : ٥٠ – ٥٧ بتحقيق محي الدين عبد الحميد طبعة ١٣٨٣ هـ مطبعة المدني .

يشرعون من عند أنفسهم فقالوا هذا حلال وهذا حرام – باسم الأوثان والأصنام – وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمرو هذا أنه « يجر قصبة في النار... »(١) وأنه « أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيّب السائبة ووصل الوصيلة »(٢) وهكذا نرى كيف تورط العرب بهذا التقليد الأعمى المقيت وما جره عليهم من فساد وانحراف

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .

أثر التقليد في حياة الأمم والشعوب

التقليد – كما أسلفت – صفة سلبية وخصلة ممقوتة ونقطة ضعف في حياة الأمم والأفراد ومتى وقع التقليد بين أمة وأخرى فإن ذلك برهان على اختلال التوازن بينهما .

وبالنظر في تاريخ الأمم واستقراء أحوالها بهذا الصدد نخرج بالنتائج التاليـــة :

التقليد بين أمة وأمة ، أو بين قوم وقوم ، يحدث بينهما من التشابه والتفاعل والانصهار ما يضعف التمايز والاستقلال في الأمة المقَلِّدة ويجعلها مهتزة الشخصية .

واقتضت سنة الله في خلقه أن الأمة الضعيفة المغلوبة تعجب بالأمة القـــوية المهيمنة الغالبة(١) ومن ثم تقلدها فتكسب من أخلاقها وسلوكها وأساليب حياتها ... إلى أن يصل الأمر إلى تقليدها في عقائدها وأفكارها وثقافتها وأدبها وفنونها ... وبهذا تفقد الأمـــة المقلِّدة مقوماتها الذاتية وحضارتها – إن كانت ذات حضارة – وتعيش عالة على غيرها .

وإذا لم تستدرك الأمة المغلوبة أمرها ، وتتخلص بجهودها الذاتية وجهادها من وطأة التقليد الأعمى فإنه – ولابد – أن ينتهي بها الأمر إلى الاضمحلال والاستعباد وزوال الشخصية تماماً ، فتصاب بأمراض اجتماعية خطيرة

(١) انظر مقدمة ابن خلدون فصل اقتداء المغلوب بالغالب ص ١٤٧ .

من الذل والاستصغار والشعور بالنقص وعدم الثقة بالنفس ، أضف إلى ذلك كله التبعية السياسية والاقتصادية والانهزامية في كل شيء .

وبالنسبة للأمم الربانية ذات الرسالة الإلهية — كالأمة الإسلامية — فإن تقليدها لغيرها يصرفها عن رسالتها ويشغل جهدها وطاقاتها عن دين الله ويرهقها بالبدع والخرافات وما لم يشرعه الله من النظم والقوانين .... والأمراض الخلقية مما يؤدي بها في النهاية إلى الردة عن دينها ... والتخلي عن رسالتها ومن ثم الولاء للكفار والطواغيت وهذا إيذان ببطش الله وعقابه ... كما ورد في قصص القرآن عن أمم كثيرة من هذا النوع ... والأمة اليوم واقعة بما وقعت فيه تلك الأمم من التقليد الأعمى للكفاروالتخلي عن رسالة الله والتبعية والولاء للكافرين في كل شئون الحياة .... والحكم بغير ما أنزل الله وإباحة الزني والربا والفجور ... ومع هذا لا زالت تمنّ على الله بإسلامها .

فلا حول ولا قوة إلا بالله ... ونعوذ بالله من بطشه .

أثر التقليد في حياة الأمة الإسلامية

أثره في العقيدة والعبادة

أولاً : انحسار المفهوم الشامل للإسلام

استسلم المسلمون للغرب الكافر وقلدوه في كل شيء فأثر ذلك على دينهم وعقيدتهم – وهذا أمر طبَبَعي في التقليد الأعمى – فأدى ذلك إلى انحسار مفهوم الإسلام الشامل(١) كمنهج للحياة كامل ... منهج يجب أن يطبقوه ويحكموه في حياتهم وحياة البشرية جمعاء .

وبهذا الانحسار ضاق مفهوم العبادة في الإسلام ومن ثم أبعدت البشرية كلها هذا الدين عن مسرح الحياة فانحسر في زوايا العبادة ، وقلوب الطيبين ! ! (وعلماء الدين ! !) كما هو في التعبير الكنسي عن العلماء بالشريعة .

وانحسر نظامه التربوي ومفهومه التعليمي ، ومن ثم فقد دوره الإيجابي في تربية الأجيال وإعداد الرجال وتكوين الأمة الربانية المؤمنة .

وانحسر نظامه الاقتصادي في واقع البشرية ... ومفاهيمه وقواعده في التملك ... والتنمية .... والتكامل ... والكسب الحلال .... وتنظيم الثروة وتوزيعها ، ومحاربة الربا والغش ... والمسئولية المالية ... وتصريف الزكاة وأدائها ....الخ .

---

(١) للفائدة طالع كتاب . جند الله ثقافة واختلافاً للأستاذ سعيد حوى ص : ١٢–١٣ وغيرهما

وانحسر نظامه العسكري .... ومن ذلك مفهوم الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته ومفهوم الإعداد ... والتدريب ... والتبعية الإيمانية والعسكرية ومفهوم الفروسية والخشونة ... وأكثر من هذا أبعد عن أهداف القتال والحرب كما حدث في حرب ١٩٦٧ م .

.... حيث كان كل شيء باسم (الزعيم الخالد) . ما أحلم الله ! ! !

وانحسر مفهومه السياسي ، لتحل محله الحركات والمذاهب الهدامة والأحزاب السياسية العميلة والدخيلة ، والمنحرفة والمتطاحنة ، وليستغل الفراغ بالانقلابات والثورات والدماء والبطش ولتبقى كراسي الحكم مساحات صراع بين اليمين واليسار !!! وأنظمة الحكم الجاهلية المستوردة .

وعلى حساب هذا كله نسي المسلمون قضية الخلافة الإسلامية وأنظمة الشورى ... والحكم بما أنزل الله .

وانحسر نظامه الاجتماعي وأثره في الفرد والأسرة ... والجماعة والأمة .

وانحسر مفهومه الأخلاقي الرائع .... فانتشرت الرذيلة والخيانة وكثرت الفواحش .... والاستهتار بالقيم والأخلاق .... والتميع .... والتبرج والاختلاط المحرم ...والكذب والغش ... والغدر .... والنفاق ....الخ .

وانحسر المفهوم الثقافي الصافي والتصور الإسلامي الأصيل وحلت محله الثقافة الجاهلية الغربية والتصورات الجاهلية المستوردة .... حول كل شيء .

ثانياً: التشكيك في العقيدة والإيمان والدين :

إن المنهزمين المقلّدين وأساتذتهم الكفّار لم يكتفوا بتنحية العقيدة عن الحياة ... بل أخذوا يشككون أبناء المسلمين بكل القضايا الإيمانية والغيبية التي جاء بها الإسلام . فأصبح الجيل الحاضر الذي تربي على أيدي هؤلاء – المنهزمين – جيل مشكك وجاهل بكل ما يمت إلى عقيدته ... وتاريخه ودينه بصلة .

نعم لقد حُشيت أفكار الناشئين من أبناء المسلمين بالشبهات المشككة ... في العقيدة ...والدين ... والرسل ... والكتب السماوية والوحي ...والقرآن والسنة ... والسيرة النبوية والآخرة والجنة والنار والبعث ... والحساب والجزاء ... والملائكة والجن .... والقضاء والقدر .

ثم يوحي هؤلاء المنهزمون – إلى أبناء المسلمين بالنظريات والمفاهيم الجاهلية ... وتقام لها الدراسات والمعاهد ... وتملأ بها أفكار الأجيال ... وحتى النظريات التي كذبها العلم ونقضها وأصبحت سخرية الناس . مع هـذا هي لا تزال من المسلّمات في أذهان أبنـاء المسلمين ... ولا تزال تدرس على أنها حقائق لا تقبل الجدل !!!

ثالثاً: الرّدة والإلحاد:

من أخطر ما يهدد العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر من موجة التقليد الأعمى للكفار حركة الردة عن الإسلام بشتى أنواعها ... فإن الجيل الحاضر بدأ يرتد عن الإسلام أفواجاً أفواجاً.

نعم. إن العالم الإسلامي اليوم تجتاحه حركة ردة عنيفة(١) تتمثل بصور شتى سواء من ناحية تطبيق أركان الإســلام الخمسة. إذ موجة ترك الصلاة كثيرة جداً – خاصة في صفوف الشباب – بل الكثير يعد الصلاة شيئاً من مخلفات العصور المظلمة!!

ثم إن كثيراً من المصلين يؤدون الصلاة بطريقة غير مشروعة ... فبعضهم يجمع الصلاة ليومه كله دفعة واحدة ... والآخر يكتفي بالجمعة .. وثالث يجمع ذلك كله لشهر رمضان ... هذا بالنسبة للصلاة ... وهي شيء هام جداً ... ناهيك عن الصوم والزكاة والحج ....أومن ناحية تطبيق الشريعة والأحكام الإسلامية والأخلاق والحدود ... فإن ذلك في خبر كان.

أو من جهة الاعتقادات الإيمانية والعقائدية الضرورية التي هي من أركان الإيمان أو مخالفتها من نواقض الإسلام، فإنك إن فتشت وجدت الردة قائمة على قدم وساق فإن هناك من يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن الإسلام لا يصلح للتطبيق ... وأن القوانين الغربية أنسب من الشريعة والفقـــه الإسلامي.

---

(١) اقرأ رسالة «ردة ولا أبا بكر لها» لأبي الحسن الندوي.

وإذا كان الله اعتبر طاعة الكفـــار في بعض الأمر ردة فكيف بمن يطيعهم اليـــوم في كل شيء ويعلن ولاءه وتقربه منهم ! قال تعـــالى : « **إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم** » سورة محمد ٢٥ — ٢٦ .

ولا أعتقد أن مسلماً واعياً بصيراً ينكر أن الأمة الإسلامية تعيش بعيدة عن الإسلام وتدور في فلك القوى الكافرة في الغرب أو الشرق ... وتدين للكفار في حياتها السياسية والفكرية والاقتصادية والتشريعية .... وأن الإسلام كدين كامل شامل لا يهيمن الآن على حياة المسلمين ... ولم تبذل المحاولات الجادّة — على مستوى الأمة — لتطبيقه بل إن بعض الحركات الإسلامية التي تدعو إلى تطبيق الإسلام لا تزال يبطش بها على أيدي كثير من الحكومات القائمـــة .

أما حركة الإلحاد : فإنها لا تزال تزيد وأصحابها يعلنون إلحادهم بكل جرأة وصراحة متحدين بذلك مشاعر الأمة وقيمها ، وتسندها بعض الأحيان قوى كثيرة من الداخل والخارج ... ففي مصر والشام وغيرها مثلاً نجد الإلحاد قائماً علناً له أحزاب وهيئات ومنظمات فالشيوعيون — وهم طليعة الملحدين — يعملون بنشاط وتشجيع في بعض الدول ...وإن كانوا يطاردون في بعضها الآخر ... فإ ن ذلك لأغراض سياسية ... ولم نعرف أن شيوعياً قُدِّم للمحكمة لإنكاره وجود الله ! ! ! ...

بل إن بعض الأحزاب الحاكمة تشركهم الحكم ... وأُخرى هي ذاتها تعلن الإلحاد والكفر وتحارب الله ورسوله ودينه كما حصل في بعض بلاد المسلمين حيث كتب أحدهم في مجلة رسمية ما نصه « والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع الإسلامي هي خلق الإنسان الاشتراكي (! ! ؟) الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع والرأسمال والاستعمار والمتخمين وكل

القيم التي سادت المجتمع السـابق ليست إلاّ دمي محنطة في متحـف التاريخ »(١) .

ويقول نديم البيطار في كتابه (من النكسة ... إلى الثورة) .

« فهؤلاء المتمردون هم ملح الأرض ومسئولون عن الله ، لأنني مقتنع بأنه لم يوجد بعد وإن علينا أن نخلقه »(٢) .

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وإن من مظاهر الشرك والإلحاد ... كثرة الصور والتماثيل بين المسلمين اليوم ... فإن تخليد الرؤساء والعظماء والقادة والطغاة والجبابرة والشياطين ... برفع صورهم .... ونصب تماثيلهم في الساحات والبيوت... والمتاحف ... والميادين ... وكل مكان .... إنما هو مظهر من مظاهر الشرك التي حرمها الإسلام ونهى عنها ... وهي إنما جاءت عن طريق التقليد الأعمى للكفار والمشركين ... فإن هذا المظهر وإن تساهل به كثير من المسلمين إنما يدل على تحول خطير في عقيدة الأمة وحياتها ، فنسأل الله العصمة .

---

(١) نقلا عن مجلة البعث الإسلامي التي تصدرها ندوة العلماء في الكهنوء بالهنـد العدد الأول من المجلد الثالث عشر – جمادي الآخرة عام ١٣٨٨ م حيث نقلت هذا عن مجلة الجيش في سورية .

(٢) المصدر نفسه .

أثره من الناحية الأخلاقية

جانب الأخلاق جانب هام وأساسي في حياة الإنسانية وسعادتها ... وهو الأساس الأول في بناء الحضارات وبقائها وشرط أساسي لتحقيق إسعادها للناس .... فلا حياة حقيقية بلا أخلاق .

وقد بني الإسلام أسس الحياة الفردية والجماعية على الأخلاق وشدد في أمرها حتى وضع لها الضوابط الواضحة والقوية وفرض لها الحدود والعقوبات حين تنتهك وهكذا نجد الأمة الإسلامية فتحت الدنيا وأقامت العدل وشيدت الحضارات الرائعة وقللت قلوب الشعوب وتقديرها ... بالأخلاق !! .

ومن أجل هذا اهتم الكفار بهدم الأخلاق الفاضلة بين المسلمين أولاً وقبل كل شيء – ومن شاء فليراجع بروتوكولات حكماء صهيون ووثائق اليهود والشيوعيين وتقارير حركات التبشير النصراني حول العالم الإسلامي – ليرى كيف تبذل الجهود الكبيرة والميزانيات الفخمة لهدم أخلاق الشباب المسلم ، فقامت لهدم الأخلاق في العالم الإسلامي مؤسسات وجمعيات ومذاهب وأحزاب ودور ضخمه ... تنادى بذلك باسم الإصلاح حيناً وباسم الإفساد أحياناً ... حتى اصطبغت حيـــاة المسلمين بهذه التيـــارات من كل جوانبها وسُخرت كل الأجهزة والطاقات لهذا الغرض ...

ففي الإعلام نجد إشاعة الفساد في كل جهاز .... عَبر الإذاعة .. والتلفاز والسينما ... والمجلات الخليعة ... والصور العارية ... والحكايات

الماجنة والمقالات المخدِّرة ... والقصص والروايات المثيرة ... والمسرحيات العاهرة وأدهى من ذلك كله المرأة العارية المتبرجة التي تعمل عبر هذه الأشياء كلها .

ثم الأدب المنهزم الرخيص ... والفنّ الماجن .

وترويج المذاهب والنظريات الهدامة ... التي تقوض الأخلاق والقيم تلك التي يروجها المستغربون المنهزمون في الداخل ....

مثل نظرية دارون في أصل الإنسان ... تلك النظرية التي تهدر كرامة الإنسان التي منحه الله إياها ... وتنكر النفخة الإلهية التي ترقى بالإنسان من أصله – منذ آدم – عن الحيوان .

ثم نظرية فرويد التي حطمت ما بقي لدى الغربيين من أخلاق موروثة وأشاعت الفاحشة وأفسدت الفطرة الإنسانية ... ونزعت البقية الباقية من ضوابط الحياء ...

ذلك لأنها أشاعت بأن كل العلاقات الإنسانية والحيوانية قائمة على الدوافع الجنسية لكن الدين والأخلاق طوّقا هذه الدوافع فجاءت عقدة الحياء لدى الإنسان !

إذا فلا داعي للدين ولا الأخلاق إذا أراد الإنسان أن يتخفف من هذه العقد .

هكذا تقول النظرية ...

ولما ساءت سمعة هذه النظرية – نظرية فرويد – وأدت دورها ، جاء مذهب سارتر الذي أعلن الإباحية المطلقة في الأخلاق ... وهي الآن تؤدي دورها في العالم الإسلامي ويقدسها كثير من الشباب المثقف .

وهكذا سار تيار الفساد والتدهور الأخلاقي قوياً وعنيفاً حتى اجتاح أكثر أبناء المسلمين فانتشرت المراقص ! والملاهي ... والمسارح ... ودور

البغاء .... وأماكن الاختلاط المحرم من الأندية .... والمنتزهات المعدة لهذا الغرض ... . والبلاجات ....الخ من عشش الشيطان التي أقامها دوراً لضيافة أوليائه ...

وكل ذلك إنما كان تقليداً أعمى للكفار الذين قامت حياتهم على هذا النمط وانغمسوا في الحياة الدنيا ... بشهواتها وملذاتها وشقائها .

ورحم الله المنفلوطي إذ يقول في وصف المرقص ودوره في تحطيم الأمة وأخلاقها «أهذا هو المرقص الذي تخرب فيه البيوت العامرة . وتذبل فيه الرياض الزاهرة ؟

أهذا هو الذي تتدفق فيه الأموال الغزار تدفق الأنهار في البحار، وتقبر فيه نفوس الكرام قبل أن تقبر تحت الرِّجام ؟

والله لا يبلغ العدو منا بخيله ورجله وأساطيله وقنابله ، ولا الأرض بزلازلها وبراكينها ، ما يبلغ منا المرقص ببغاياه»(١) .

ومن آخر ما بقي من الأخلاق لدى المسلمين الحياء لدى المرأة المسلمة، فقد حاول المنهزمون المقلدون انتزاع هـذه الفضيلة ... وبعد جهود خرجت المرأة في أكثر العالم الإسلامي سافرة متبرجة وخلعت ثوب الحياء والفضيلة ونسيت الحشمة والمروءة والأنفة والعزة ... إلا من عصمها الله .... والله خير حافظاً .

وبالنسبة للأخلاق العامة اكتسبت الأمة الإسلامية من الكفار عن طريق التقليد كل ما لديها من أمراض خلقية . . . من الأنانية وحب الذات والحسد والأثرة والحقد . . . والتباغض . . . والتفكك الأسري والاجتماعي

---

(١) نقلا عن الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين الجزء الثاني ص ١٩٢ الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ .

واتباع الهوى والشهوة . . . وعقوق الوالدين . . وقطع الرحم . . وعقوق الجار والشح .... والبخل .... والخيانة والخداع .... والمؤامرات .... والاغتيالات والفتك ..... والقتل .... وهتك الأعراض .... والنّصب والسرقة والاحتيال .... الخ .

وأعود مرة أخرى وثالثة إلى ظاهرة الاختلاط بين الرجل والمرأة فإن هذه الظاهرة — في نظري — أخطر ظاهرة وافدة من الكفار كما أنها أدت دوراً خطيراً في هدم أخلاق شباب الأمة الإسلامية ... وتقويض الحياء والحشمة والشرف في فتياتها .

فإن الاختلاط خاصة في الجامعات والمدارس هو شبكة الشياطين لقتل العفة والشرف والفضيلة والبراءة التي فطرت عليها الفتيات وهذا ما يشهد به الواقع وإني لأعجب من مدافعة بعض الناس — بسذاجة حيناً وبمكر أحياناً — عن الاختلاط وادعائهم بأن الاختلاط في المجتمعات الراقية يصبح شيئاً عادياً ليس فيه إثارة ....الخ ...

لا يهمني أن أرد على هؤلاء فهم يعرفون أنهم يكذبون ولقد لقيت نماذج من هؤلاء يدافعون بكل حماس عن الاختلاط في الجامعات والمدارس ..... وبعد قليل يذكر أحدهم قصّة حبه وغرامه مع زميلاته وقد يقص مغامراته وبطولاته في قتل الشرف عند الزميلات ! ! ومن صادق منهن ومن عاشر ومن خادن ...الخ .

وبما أن هذه الظاهرة الخبيثة جاءتنا من الكفار ... ففي حياتهم لنا عبرة فكم عاني الغربيون ولا يزالون من مشكلة الاختلاط بين الشباب والفتيات في الجامعات والمدارس رغم أن حياتهم حياة بهيمية ... ومع ذلك أخذت الصيحات تتوالى فزعاً مما سببه الاختلاط من متاعب ومشكلات شلت حركة الحياة أو تكاد ، والآن وبعد المعاناة .... أخذت الجامعات الحديثة في أمريكا

وأوربا تقوم على سياسة الفصل بين الجنسين ... فكان هذا أجدى لهم فكيف بالمسلمين !!!

ورغم هذا كله لا يزال المغفلون وأصحاب الأهواء والشهوات ينادون — في البلاد الإسلامية — بالاختلاط زاعمين أن ذلك هو التطور والتقدم ... وإنصاف المرأة !! فهل استفادت المرأة من التجارب وهل علمت أنهم يريدون بذلك هتك عرضها وشرفها « **ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السُّفهاء منا** » .

أثره من الناحية الفكرية والنفسية

ذكرت آنفاً كيف اضمحل الفكر الإسلامي الأصيل البناء من جراء بعد المسلمين عن حقيقة الإسلام .... حتى أصيبوا بالفراغ الفكري .

ولما أصيبوا بمرض التقليد الأعمى للكفار امتلأ ذلك الفراغ بالأفكار الجاهلية بشتى أنواعها ... وصار العالم الإسلامي مرتعاً خصباً للأفكار الفاسدة المستوردة وبذلك فقدت الأمة الإسلامية أصالتها الفكرية المبدعة البناءة وأخذت تستورد الأفكار كما تستورد المصنوعات الجاهزة والكماليات فأصيبت بالشلل الفكري القاتل ....

ولم يدرك العالم الإسلامي ذلك الخطر الجسيم الذي ينجم عن استيراد الأفكار من الكفار وإن ذلك أشد إثماً من الوقوع في أسرار الركود الفكري فإن الركود الفكري لا بد أن تعقبه انتفاضة لأن الأمة الإسلامية في مراحل صراعها لا يمكن أن تبقى طويلاً تدور في فلك العالم الغربي الكافر ... حتى يكتب الله لها الرجوع إلى الإسلام يقول الأستاذ مالك بن بني في ذلك » ولكن الوقت الذي يكون فيه الألم أشد والحسرة أكبر هو عند ما نحاول إحياء العالم الثقافي المشحون بالأفكار الميتة بالاستعانة بأفكار قاتلة مقتبسة من حضارة أخرى فهذه الأفكار قاتلة وهي في موطنها الأصلي ... تصبح أشد قدرة على القتل عند ما تنسلخ من هذا المحيط .

وعلى هذا النحو يقتبس المجتمع الإسلامي المعاصر الأفكار الحديثة والتقدمية في الحضارة الغربية »(١) .

أما من الناحية النفسية فقد سبق أن ذكرت أيضاً ما يحدثه التقليدالأعمى – على العموم – في نفسية المقلد من التحطيم .

ونحن الآن نرى كيف تعاني الأمة الإسلامية من آثار هذا التحطيم النفسي حين وقعت في أسر التقليد الأعمى .

فالشعور بالنقص والاستصغار أمام أصحاب الحضارة الغربية الجاهلية سائد في أنحاء العالم الإسلامي على مستوي الفرد والدولة ... ونتج عن ذلك الثقة بالكفار والشعور بالحاجة إليهم ... واحتقار الذات ... بل وإنكار الذات ... والتغاضي عن عيوب الكفار لاستشعار كما لهم وعظمتهم وإحاطتهم بهالة رهيبة مما جعل المنهزمين من أبناء المسلمين يدينون لهم بالولاء في كل شيء .

ثم الانبهار والانهزامية أمام التقدم الصناعي الهائل الذي جاءت به الحضارة الغربية الجاهلية مما جعل النفوس الضعيفة تقف مدهوشة أمام هذا الفتح العلمي الهائل وتنسى كل قيمها وحضارتها ودينها ومقومات عزها فتقع في أسر الهزيمة الداخلية التي حين وقع بها المسلمون نسوا أنهم بشر مثل الغرب وأنهم يملكون من القدرات والمواهب مثل ما يملك أولئك بل أكثر ... وأكثر من هذا نسى المسلمون أنهم هم واضعو أسس العلم التجريبي ، والعمران المدني ، والتقدم الصناعي ...

ونتج عن هذه الانهزامية فقدان الشعور بالمسئولية تجاه الإسلام والأمة والمجتمع الذي يعيش فيه الفرد المسلم وفقدان الشعور بالمسئولية نتيجة طبيعية في كل فرد أو شعب أو أمة تتكل على غيرها وتستورد منه كل شيء .

---

(١) عن كتاب مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي – لمالك بن نبي ص : ٩١ .

وبهذا جنى المسلمون على الإسلام جناية عظمى لأنهم وقفوا منه وبه موقفاً سلبياً وانهزامياً في كل شيء فتمثل الإسلام بمواقفهم وكأنه في حلبة الصراع العالمي يقف موقف المسالم الراضي أو المتفرج الذي لا يهمه فساد العالم ودماره — وحاشاه — بل المسلمون في موافقهم العالمية لا يمثلون الإسلام أبداً .

ومهما يكن من أمر فلن ننسى الجهود الإسلامية التي تبذلها الحركات والجماعات الإسلامية المخلصة مع أكثر البلاد الإسلامية ولولا الضربات الوحشية التي تكال لها من المنهزمين في الداخل والتحريض والإثارة التي تبذل ضدها من الخارج لكان لها وللعالم شأن آخر ... والله غالب على أمره ...

أثره في الأدب واللغة والثقافة

إن أصالة أي أمة من الأمم وأي حضارة من الحضارات تتمثل في وحدة لغتها ... والتزام أدبها ... واستقلال ثقافتها ...

وكذلك كانت الأمة الإسلامية قبل أن تقع في وطأة التقليد الأعمى .... فقد كانت ذات لغة واحدة هي لغة القرآن ... كانت هذه اللغة في عهد الازدهار الحضاري الإسلامي – في كل العالم الإسلامي من الهند إلى الصين – هي لغة التخاطب والتعليم والتأليف ... والإنشاء ... إلى أن جاء الاحتلال الجاهلي .

. . . .

أما الأدب والثقافة فقد ضاعت معالمها منذ قرون طويلة ....

وفي العصور الحديثة كادت أن تقوم نهضة أدبية أصيلة لولا أن اعترضتها موجة التقليد والانهزامية فصرفت وجهتها إلى الأدب والثقافة الغربيين .

فحين جاء الاحتلال وبذر بذور الأدب والثقافة الجاهليين ... ورفع رؤوس الأدباء والمثقفين المنهزمين الذين أشربوا في قلوبهم حب الغرب ونهلوا من أدبه وثقافته حتى ارتووا ....

وبهذا انفصل الأدب والثقافة عن الالتزام الاسلامي وقُطعَ استمدادهما من المصادر الإسلامية الأصيلة .

وكلنا يعلم ما لحركة (التجرد) التي جاء بها المستشرقون من أثر في تجريد الأدب من الإسلام وفصله عنه .... فوجد أدباء في العالم الإسلامي لايعرفون الإسلام ويقولون : ماللأدب والدين وما صلة الدين بالأدب والثقافة ؟ ! .

وأدهى من ذلك كله جاءت طائفة من الأدباء — أراد لها الغرب أن تبرز — فقالت ينبغي أن نطبع حياتنا وأدبنا وثقافتنا بما عند الغرب ... وأن ننهل من مناهله العذبة ... كما فعل الدكتور طه حسين حين دعا في كتابه — مستقبل الثقافة في مصر وغيره — إلى أن تكون مصر أوروبية في كل شيء وأن تنهل من الغرب كل شيء !!

وبهذا راج الأدب الماجن الرخيص ... وكثرت المذاهب الأدبية المنحرفة فتحول الأدب لخدمة الفساد والانحلال ... وإشاعة الفوضى الأخلاقية .

مع أن هناك أدباء كثيرون لهم جهود مشكورة في تجنيب الأدب الانحراف وخدمة الأدب الأصيل ... لكنهم لم يلقوا التشجيع الكافي وأريد لأدبهم أن يقبع في زوايا المكتبات ... فأبعد عن مسرح الحياة . ومن هؤلاء مصطفى صادق الرافعي فكان — مثلا — يقول : بصدد تقليد الغرب :

« وإذا نقلنا من الأدب والشعر (أي عن الغرب) فلندع خرافات القوم وسخافاتهم الروائية ... إلى لبّ الفكر وروائع الخيال والحكمة وأن نتبع طريقتهم في الاستقصاء والتحقيق وأسلوبهم في النقد والجدل » (١)

وقبله الأستاذ الأديب عمر الدسوقي المعروف بجرأته وشجاعته في الحق واضطلاعه بعلوم الأدب وغيرها .

. . . .

أما اللغة العربية لغة القرآن والإسلام فإنها أيضاً استهدفت بمحاولات كثيرة وشبهات أثرت في نفوس الضعفاء والمنهزمين .

---

(١) وحي القلم جـ ٣ ص ٢٠٤ .

فقد قيل عنها إنها صعبة وقاسية ومعقدة ... وليست لغة تقدم ولا لغة مدنية .... وأنها عاجزة عن مواكبة الاكتشافات العلمية ... ! ! إلى آخره ...

وقامت الدعوات المشبوهة إلى تغيير الحروف العربية — كما فعل سعيد عقل — والدعوة إلى العامية ..... والاهتمام باللهجات الإقليمية .

. . . .

أما الثقافة فلم تكن أحسن حظاً من الأدب .... فإن الحياة في العالم الإسلامي كلها تأثرت بالثقافة الغربية ... فمنذ عُزل الإسلام عن مسرح الحياة ... ومعالم الثقافة الإسلامية غير واضحة في أذهان الأجيال .

نجد أن نصيب الثقافة الإسلامية في التربية والتعليم ضئيل لا يكاد يذكر وإن وجد فبشكل هزيل ومحرّف ومشوّه .

بل إن أكثر الدول في العالم الإسلامي تستبعد الثقافة الإسلامية من مناهجها ....

. . . .

أما في أجهزة الإعلام فإن نصيب هذه الثقافة لا يكاد يذكر اللهم إلا بعض الصحف والمجلات الإسلامية القليلة والتي لا تساوي شيئاً أمام زحف الثقافة الجاهلية ... ثم إن كثيراً من هذه الصحف والمجلات المخلصة لقيت من الهجر والضيق الشيء الكثير .

ونتج عن هذا كله غموض الثقافة الإسلامية .... واحتقار التراث الإسلامي وإهمال الدراسات الإسلامية في الجامعات وحصرها في جوانب ضيقة .... وقصر اهتمامات الناس على المدنية الوافدة والإنتاج الغربي المستورد .... وعدم اهتمامهم بالإسلام ... والمسلمين .... وأوضاع ومشكلات العالم الإسلامي والشعوب الإسلامية التي التهمتها الجاهلية التهاماً ...

أثره على التاريخ الإسلامي

التاريخ الإسلامي أصدق تاريخ عرفته البشرية ، فهو على الرغم مما حدث له من تحريف الشعوبيين وتشويه الدخلاء وكذب الوضاعين على الرغم من ذلك كله فلا يزال – إذا وجد من المسلمين الدراسة والعناية – أصدق تاريخ يمكن أن تستفيد منه البشرية ، وأعظم كنز عرفه الناس ؛

فإن التاريخ الإسلامي يحمل في طياته تراث أضخم تجربة بشرية في حياة الأمم والحضارات ... ويشتمل على أعظم تراث حضاري وأنفس وأغلى وأروع رصيد إيماني وفكري وأدبي وثقافي وسياسي وعمراني ومدني وتشريعي .

نعم إنه تاريخ مشرق مليء بالبطولات الهائلة . والمواقف الرائعة .... المشرفة ... تاريخ السعادة ... والأمن .... والحرية الحقة والاستقرار ... والعدل ... إنه باختصار يملك التجربة التي تنشدها البشرية اليوم (رغم الانتصار العلمي الهائل) .

فالتاريخ الإسلامي – هو الآخر – لحقه الضرر من جراء التقليد الأعمى للغرب والتأثر بهم ، فقد بذل الغربيون – الكفار – جهوداً جبارة تهدف إلى تشويه التاريخ الإسلامي . ولقد درسوه دراسة تفصيلية ... وفي أثناء غفلة العالم الإسلامي استطاعوا أن يقولوا كل شيء عن الإسلام .... وصار منهم مستشرقون متخصصون بذلك فلم يدعوا صغيرة ولا كبيرة في تاريخ المسلمين إلا وفحصوها ... بعد ذلك قالوا كل ما يريدون .... فألفوا الكتب الكثيرة

حوله ... وعرضوه بوجهة نظرهم ثم جاءوا مرة أخرى يلقنون الأجيال المسلمة تاريخها كما يرونه هم ... وحكموا عليه بما يشاءون .

فلم يدعوا شبهة حوله إلا قالوها .

ولم يدعوا موقفاً عظيماً فيه إلا وشوهوه بمكر ودهاء .

ولم يدعوا نقطة ضعف إلا ونفذوا خلالها ليزوروا عليه .

وكلما وجدوا زلّة أو انحرافاً لشخص جعلوا منها قاعدة يحكمون بها على التاريخ الإسلامي

ولم تسلم السيرة النبوية من هذا التشويه والشبهات فقد قالوا فيها الشيء الكثير .

وحتى مانسميه (المنصفين) ! منهم أساؤوا إلى السيرة والتاريخ الإسلامي بكل دهاء ... ونحن مهما فرضنا – جدلاً – أن من الكفار من ينزع إلى الإنصاف والعدل فإنه لا يستطيع ذلك ... لأنه سيعرض الشيء من وجهة نظره هو وسيحكم عليه بمقاييسه العلمية والعقلية والعاطفية ... وحسب تجاربه هو ... فكيف يستطيع إنصاف الحق من لا يعرف الحق ...؟!

. . . .

وبعد انفتاح العالم الإسلامي على الغرب الكافر ووقوعه في أسرالاحتلال بدأ المسلمون يأخذون تراثهم وتاريخهم عن الغربيين ... ووجدوا أن أكثر تراثهم وكنوزهم العلمية في المكتبات الغربية !!!

وبعد انفتاح العالم الإسلامي على الغرب الكافر ووقوعه في أسر الاحتلال بدأ المسلمون يأخذون تراثهم وتاريخهم عن الغربيين ... وجدوا أن أكثر تراثهم وكنوزهم العلمية في المكتبات الغربية !!! فصاغ الغربيون التاريخ الإسلامي من وجهة نظرهم – كما سبق – ثم لقنوه أبناء المسلمين وقالوا لهم هذا تاريخكم ... وهاكم حضارتنا وتقدمنا !!! .

فنتج عن هذا أن برز من أبناء المسلمين قادة ومفكرون وأدباء ومؤرخون أشربوا في قلوبهم الغـرب ونهلوا من مناهله ... حتى سبّحوا بحمـده ... أمثال سلامة موسى وطه حسين وآخرون تأثروا بآراء المستشرقين والغربيين وعرضوا آراءهم ومؤلفاتهم من الوجهة الغربية ... مثل طنطاوى جوهري وأحمد أمين صاحب فجر الإسلام فالأول فسر القرآن من الوجهة الغربية والثاني كتب في التـاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية متأثراً بآراء المستشرقين .

أما حظ الناشئين من أبناء المسلمين والمتعلمين في دور التربية والتعليم من دراسة تاريخهم فهو مبخوس .... وكذلك الإنتاج الأدبي والكتابات التاريخية والبحوث العلمية . لم تعن بالتاريخ الإسلامي عنايتها بتاريخ الحضارة الغربية الجاهلية ... وتاريخ الأمم الأخرى قبل الإسلام ... وإنه لا تزال فترات من التاريخ الإسلامي الطويل تكاد تكون مجهولة ...

فنشأ الجيل الجديد لا يعرف تفاصيل تاريخه الإسلامي . بالمقدار الذي عرف فيه بطولات الغرب وتاريخه ...

نعم إن هذا الجيل يعرف عن لوثر ... وانجلز . ... ونيتشه ...وماركس ولينين ... وواشنطن ... ونابليون ... وفرويد .... وتشرشل .... وسارتر.. وما وتسي .... وغيرهم من الطواغيت والشياطين الكافرين ...

ويعرف تفاصيل حياتهم وبطولاتهم !! ... أكثر مما يعرف عن الخلفاء الراشدين ... وخالد .... والمتنبي ... وأبو عبيدة .... وعمر بن عبد العزيز.. وهارون الرشيد ....وعبد الله المبارك .... ومحمد قاسم .... ومالك .. والشافعي ،وأبي حنيفة ... وأحمد بن حنبل ... وابن تيمية ، والعز بن عبد السلام ... وقطز ... وصلاح الدين .... ومحمد بن عبد الوهاب .... وحسن البنا وغيرهم من أفذاذ التاريخ الإسلامي الذين شيدوا أسمى حضارة عرفتها البشرية ! ...

وإن كانت هناك كتابات كثيرة وجيدة عن التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية إلا أنها لا تساوي شيئاً أمام الكتابات والمؤلفات المشوهة التي تطعن التاريخ الإسلامي في الصميم كمؤلفات المستشرقين وأفراخهم ... مثل كتابات جرجي زيدان ومن نحا نحوه ...

. . . .

ومع هذا فإن المسلمين متى تحرروا من ربقة التقليد الأعمى ... فإنهم سيعون — إن شاء الله — هذه الحقيقة .... ويرجعون إلى تاريخهم لاستجلاء العبرة ... وتثبيت الفكرة .... وتشييد البناء الإسلامي الأصيل من جديد بإذن الله ولو كره المنهزمون ...

أثره في الأنظمة والتشريع

إن الأمم والشعوب والدول إنما تستمد نظم حياتها وقوانينها وتشريعاتها من الدين الذي تعتنقه أو المبدأ الذي تتبناه .

ومتى استمدت ذلك من غيرها فإن ذلك عنوان ضعفها وانهزامها وعدم استقلال شخصيتها .

. . . .

ولقد شرع الله للأمة الإسلامية ، ديناً قيماً ، ونظاماً لحياتها ولحياة البشرية جمعاء .... فيه السعادة ... والإيجابية .... والكمال ... والشمول ... والهداية .... والرشاد .... والصلاح لكل زمان وبيئة ... فيه كل ما ينشده الناس ... من عدل وسعادة .... وسلام ... وأمن وطمأنينة .

« **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . . .** » ٩ الإسراء .

وحين تخلت الأمة الإسلامية عن هذا المنهج السابق ووقعت في شبكة التقليد ... وانحرفت حكوماتها فولت وجهها نحو الغرب الرأسمالي الكفار أو الشرق الشيوعي الملحد ... فاستمدت — هذه الحكومات — نظمها وتشريعاتها وقوانينها من هؤلاء الكفار والملاحدة — ولا ننسى أن للاحتلال دوراً كبيراً في تشريع القوانين الوضعية ... ووضع العراقيل أمام الفقهوالتشريع الإسلامي كيلا يحكم حياة المسلمين وينظمها ! ! ! —

حين حدث هذا فقدت الأمة الإسلامية أصالتها وشخصيتها ... وتحولت إلى قطع مشوهة واضطربت فيها الحياة الفردية والاجتماعية وتحكمت فيها الأهواء والمصالح وتعقدت المشكلات المستعصية .

. . . .

إن الأمة الإسلامية لا تزال تستمد نظمها من الشرق والغرب ... وأكثر الدول العربية لا تزال تحكم بالقانون الفرنسي أو الانجليزي ... وتطبق النظام الاشتراكي أو الرأسمالي في حياتها الاقتصادية .

فتحكم بغير ما أنزل الله ، ومع أن بعضها يجعل الإسلام مصدراً من مصادر التشريع (مع التحفظ) إلا أنها لا ترجع إلى حكم الإسلام في شيء... إنما هو مجرد لعب بعواطف الشعوب .... ومع هذا فقد حاول بعضهم أن يحذفوا كلمة «دين الدولة الإسلام» من الدستور رغم أنها لم تضايقهم في الواقع لأنها مجرد (كلمة) .

وبعض الدول الأخرى في العالم الإسلامي وضعت لنفسها دستوراً مستقلاً ...فلم تحكم بالإسلام إنما حكمت بغير ما أنزل الله فشرعت لنفسها قوانين وضعية جاهلية .

وبعد هذا جاء المنهزمون يصمون الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي بالجمود والتحجر ... والعجز عن مواكبة الحياة الحديثة ... والقصور في حل المشكلات الفردية والاجتماعية والدولية والعالمية ...

وبرروا بذلك دعوتهم إلى أخذ كل ما عند الغربيين الكفار واستمدوا النظم والقوانين منهم ، يقول الدكتور طه حسين في دعوته إلى تقليد الغرب :

«ونظام الحكم عندنا أوربي خالص (!!) نقلناه عن الأوربيين نقلاً

من دون تحرج ولا تردد ، وإذا عبنا أنفسنا بشيء من هذه الناحية فإنما نعيبها بالإبطاء في نقل ماعند الأوربيين من نظم الحكم وأشكال الحياةالسياسية ! !(١)

وبسبب هذه النظم والقوانين الوضعية المستوردة أصيب كثير من المسلمين بالبلبلة الفكرية ... فأخذوا يتخبطون في التماس الطريق .

فظهرت الدعوة .... إلى إخضاع الإسلام لمسايرة الوضع والواقع .

والدعوة . . . . إلى تأويل النصوص الشرعية لتوافق القوانين الوضعية .

والدعوة . . . إلى قصر الإسلام على الاحوال الشخصية والأوقاف .

والدعوة . . . إلى عزل الإسلام في طقوس العبادة والصلاة .... وتركه للحرية الفردية .... وإبعاده عن الحياة العامة والدولة بل وعن الأحوال الشخصية والأوقاف .

ثم القول بأن الإسلام هو الرأسمالية ! !

والقول : بأن الإسلام هو الاشتراكية ! !

والقول : بأن الإسلام هو الشيوعية ! ! ! !

ثم انفتح باب الفتاوى على مصراعيه وكثرت الفتــاوى المنحرفة بتحليل الحرام وتحريم الحلال – بغير علم –

وأخذ كل يفتي بهواه ... ويقول على الله بغير علم .... فأبيح الربا والزنى والتبرج والعرى ... والاختلاط الحرام .... وترك الصلاة .... والصيام والزكاة الخ ....

---

(١) عن مستقبل الثقافة في مصر – طه حسين – ص ٣٢ .

وصار على كل ثغر من ثغور الإسلام شيطان يفتي للناس ويدعوهم إلى ضـــلالة ـ افتراء على الله ـ فانصرف النـــاس عن العلماء المخلصين والمجتهدين حقاً ....

. . . .

وهكذا أقصيت الشريعة الإسلامية وأبعد الفقه الإسلامي عن حياة المسلمين فاستمدوا نظمهم وتشريعاتهم من الطاغوت .

فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أثره في المظاهر الشكلية

كاللباس والزي والأسماء والمصطلحات

قد عرفنا من قبل أن الإسلام اهتم بتمييز شخصية المسلم واستقلالها في كل شيء ومن ذلك المظاهر الشكلية والأزياء واللبـاس ... والأسماء ... وأنماط السلوك .

وقد حدد الإسلام للباس كل من الرجل والمرأة شروطاً ومواصفات عامـة ... أما الكيفية والتركيب والتفصيل واللون والشكل العـام ... فإنه جعل ذلك للإنسان حسب الظروف والعادات والتقاليد والأذواق مادام ملتزماً الشروط العامة للباس .

فالمشترط في اللباس أن يكون ساتراً للعورة كما حددها الإسلام لكل من الرجل والمرأة ...

وأن تتوفر فيه صفات الحشمة والتواضع أي بعيداً عن مظاهر الخيلاء والإسراف والفتنة والإثارة ... والنعومة .

كما يجب أن يتميز لباس الرجل عن المرأة والعكس .

وأن يتميز لباس المسلم على العموم عن لباس غيره ــ فيبتعد عن الأزياء التي تكون شعاراً للكفر أو الفسق ونحو ذلك .

لذا كان السلف الصالح ــ رضوان الله عليهم ــ يكرهون التقليد في

اللباس والزي والأسماء امتثالاً لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك حين رأى على أحد الصحابة ثوبين معصفرين فقال له : « إن هذه ثياب الكفار فلا تلبسها »(١) رواه مسلم .

أما وقد انتكس المسلمون في العصر الحاضر وصاروا عالة على الكفار فراحوا يأخذون عنهم كل شيء ويستوردون منهم كل شيء بما في ذلك المظاهر الشكلية التافهة .... والتي تضر ولا تنفع !

فإن المسلم ليحس بعظم الكارثة حين يرى المسلمين يأخذون — بنهم — عن الكفار كل ما لا ينفع من قشور الحضارة الغربية وسخافات القوم من الأزياء وأدوات الزينة الفانية .... والعري .... والتخنث والميوعة .... والمودات الجديدة التافهة . والتقليعات السخيفة وكل ما يعاني منه أولئك من أمراض خلقية ووسائل الانحلال والفساد ويتركون الكثير والكثير من الأشياء الجادة والنافعة والبناءة !

فحسب المقلدون — المنهزمون — « أنه بتغيير اللباس تتبدل عقلية أمة متخلفة وتنشأ فيه الحركة والحيوية والنشاط(!!) »(٢) .

إلى حد أن صور — الميني جوب — وكأنه رمز للفخر والتقدم ....

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي بعد أن ذكر ما يجب أن يأخذه المسلمون عن الأمم الأخرى من الإنتاج : « وكانتا إذا أعرضتا عن هذه الأمور الجوهرية ورحنا نأخذ عن أمم العرب ملابسها وطرقها للمعيشة وأدواتها للأكل والشرب يزعم أن فيها السر لنجاح تلك الأمم ورقيها فلا يكون ذلك إلا دليلاً على غباوتنا وبلادتنا وحماقتنا ، فهل لأحد عنده العقل أن يعتقد أن كل ما أحرزه الغرب من التقدم والرقي في مختلف حقول

---

(١) مختصر صحيح مسلم — كتاب اللباس — باب في النهي عن التزعفر ص ١٢٠ حديث رقم ١٣٤٥ .

(٢) عن (الإسلام في وجه التحديات المعاصرة) للمودودي ص ١٥٨ .

الحياة إنما أحرزه بالجاكيت والبنطلون ورابطة العنق والقبعة والحذاء ؟!! أو أن أسباب رقيه وتقدمه أنه يتناول طعامه بالسكين والشوكة ؟! أو أن أدواته للزينة والرفاهية والمساحيق والمعاجين والأصباغ هي التي قد سمت به إلى أوج الرقي والكمال ؟ فإن لم يكن الأمر كذلك – والظاهر أنه ليس كذلك – فما للتقدميين المستشرقين بالإصلاح عنـدنا لا يندفعون أول ما يندفعون إلى هذه المظاهر ؟

وما لهم لا يدركون أن كل هذا الجمال والبريق الذي يبهر الأنظار ويبهت العقول في حياة أهل الغرب إنما هو ثمرة ما قد بذلوه تباعاً طيلة قرون ماضية من الجهود المضنية المرهقة وأن أي أمة في الأرض إذا عملت لرقيها بالجهد المتصل والصبر الجميل والعزيمة المتدفقة كما عمل أهل الغرب فلا بد لها من إحراز ما يبهت العقول ويبهت الأنظار»(١) .

. . . .

وقس على ذلك الأسماء والمصطلحات والمفاهيم فإن الكثير منها مستورد ولا سيما – المصطلحات العسكرية والثقافية والعلمية .

وسأضرب بعض الأمثلة على الأسماء والمصطلحات الجاهلية التي أخذناها تقليداً دون أن نعي حقيقتها وخطرها علينا .

من ذلك كلمة « رجال الدين » حين نطلقها على علماء الإسلام .

وكلمة « الاستعمار» بمعنى الاحتلال والغزو العسكري .

واستعباد الشعوب من قبل الكفار بينما نسمى الخلافة العثمانية (احتلالا) كما يصور ذلك الغربيون .

وكلمة (الحضارة العربية) كما يطلقها المستشرقون عند ما يتكلمون عن الحضارة الإسلامية أو ما يتبع ذلك من فتوحات وتاريخ ....

---

(١) الإسلام في وجه التحديات المعاصرة ص ١٦٣ – ١٦٤ .

فيقال محمد رسول العرب ... والفتوحات العربية .... والتاريخ العربي ......الخ....

وكلمة (رجعية) مقابل الإسلام والتاريخ الإسلامي والشريعة الإسلامية والأديان وماضي الأمة الإسلامية وبالمقابل كلمة (تقدمية) لكل وافد مستورد .

وإطلاق كلمة (ديمقراطية) على الإسلام ! . . . .الخ ....

. . . .

وكذلك بالنسبة للبناء المدني والمنشآت العمرانية فإنها تؤسس في البلاد الإسلامية على الشكل الغربي دون أن تراعي قواعد الشريعة الإسلامية وعادات البلدان وظروفها البيئية والاجتماعية ممثلاً بيناء المساكن ... قليلا ما تراعي ـ في أكثر البلاد الإسلامية ـ أصول الحشمة والستر والقواعد الخلقية فيه .

فتجد السور الخارجي لا يستر ... والتخطيط الداخلي لا يراعى عزل الرجال عن النساء الأجانب ... والنوافذ تكشف الجيران الخ ....

. . . .

وما يتلقاه أطفالنا عبر أجهزة الإعلام وتلقين المربين المنهزمين من المفاهيم الجاهلية والألفاظ المستوردة التي يلوكونها بكل اعتزاز فيحشى ذهن الطفل ببطولات(سوبرمان الجبار) الخيالية التي تولد في نفسه حب المغامرات ...؛ بينما لا يعرف عن بطولات أجدادنا وسلفنا العظام إلا النزر البسيط واليسير ؛

الانحرافات الخطيرة التي غيرت مجرى الحياة الإسلامية

فصل الدين عن الدولة

وهذه الضلالة المستوردة وفدت إلى العالم الإسلامي عن طريق (الكفار) أيام الاحتلال العسكري ، وطبقتها أفراخهم من شيعة (عمرو بن لحي)(١)

من أبناء المسلمين الذين تربوا في أحضان (الكفار) وأعجبوا وانبهروا بحضارتهم ، وأول من طبقها من أبناء المسلمين — كمال أتاتورك — في تركيا .

وباركتها شيعة عبد الله بن سبأ (السبئية)(٢) من المبشرين والمستشرقين والمؤسسات الكافرة المتغلغلة في داخل العالم الإسلامي ، والمخابرات الغربية والشيوعية التي تعمل من وراء الكواليس ، ونحوها .

نادى هؤلاء وأولئك :

(١) عمرو بن لحي — من مشركي العرب في الجاهلية — وهو أول من نقل عبادة الأصنام إلى أرض الجزيرة العربية — حيث كانوا على الحنفية ملة إبراهيم عليه السلام .

(٢) عبد الله بن سبأ : يهودي ادعى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم عمل على إشاعة الشبهات السياسية والفكرية حول الإسلام والعقيدة والخلافة — خاصة حول عثمان بن عفان الخليفة آنذاك — فأثار الفتنة المشهورة استغل أصحاب الأهواء واليهود وأهل الذمة والمنافقين والشعوبيين الذين يعيشون داخل الدولة الإسلامية .

ما صلة الدين بالدولة ....؟!

ما للدين والسياسة .... ؟!

ما للدين والحياة ؟ .... فالدين عاجز وقاصر عن تنظيم الحياة العصرية ! !

وحيث أثبت التاريخ أن الإسلام دين الحياة ، لم يتجرأ أحد أن يدعي بأن الإسلام دين لا صلة له بالسياسة ولا علاقة له بالدولة ودنيا الناس نعم لم يستطع أحد من المنهزمين أن ينادي بهذا أول الأمر .

إنما قالوا : الإسلام أدى دوره واستنفد أغراضه ...!

إنه يحكم وينظم دولة (السيف والجمال !) فكيف يطبق في القرن العشرين ؟!!

.... ثم قال البعض — مجاملة ومكراً : الإسلام قيمة وراثية .... ومعاملة شخصية وعبادة فردية ...!!!

إنه مجرد عبادات وشعائر تؤدى لله ، بمعزل عن الحياة — لا سيما الحياة الراقية — ولا ينبغي إقحام الدين بالمشكلات والقضايا الحديثة ! !

ومن ثم فقد فصلوا الإسلام — فعلا — عن الدولة والسياسة والعلاقات الدولية وفصلوه عن الحياة والسلوك ....

فصلوه عن الاقتصاد والمدنية والعمران .

وفصلوه عن الأدب والثقافة .

وفصلوه عن المناهج التربوية ، والبحث العلمي ، والتعليم .

وفصلوه عن الحياة الاجتماعية ... عن كل شيء ... حتى صار شبحاً مخيفاً بين الأجيال .....

لأنه صار أخيراً — يعني : المساجد ، والمعتقلات والتشريد ! !

بل صار في مفهوم الكثير من أبناء المسلمين يعني : التحجر ... والاتكالية والرهبنة ... والوحشية ...

أو المسالمة والمسكنة .... والانطوائية ..! والسلبية ..! ...الخ

والنتيجة الطبيعية لهذه التربية المنحرفة ، والإيحاءات الشيطانية أن تقول الأجيال التي تلقت ولا تزال تتلقى هذه المفاهيم : دين هذه حقيقة أبعاده حربه خير من الانتساب إليه ..!

ولسنا بصدد ملابسات وأسباب ظهور هذه الظاهرة ــ فصل الدين عن الدولة ــ في الغرب هناك ... حيث كان الدين عندهم ــ فعلاً ــ مجرد عبادات وطقوس تؤدى في زاوية الكنيسة بعيداً عن حياة الناس ... ذلك أن تلك الأديان قد حرفت وغيرت فهي صادرة عن الأهواء ... والرغبات ... أما الإسلام فهو دين الله الباقي المحفوظ ...جاء من عند الله ليحكم حياة البشرية كلها وليقودها إلى الله وإلى الجنة عبر منهج شامل كامل وطريق أمين **« إن الدين عند الله الإسلام »** ١٩ آل عمران .

« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » ٨٥ آل عمران

... وحيث أن هذه(الضلالة) استقبلت في العالم الإسلامي بالترحاب من قبل المنهزمين وأصحاب الأهواء وعشّاق السلطة الذين مكنهم الاحتلال من الصعود على العروش فإن الأمة الإسلامية قد عانت ــ ولا تزال ــ من مضاعفاتها في كل مرافق الحياة والجميع يرى ويحس ذلك في العالم الإسلامي فعلى هذا النمط قامت في بلاد المسلمين الممزقة دول عزلت الإسلام عن حياتها بالكلية ...

وأخرى جعلت في سياستها حرب الإسلام ونصبت له المتاريس ...

وثالثة نهجت سياسة الترقيع ...

. . . .

أما الفرد المسلم فهو بالخيار في أن يختار الحياة الإسلامية الصحيحة ويصبر على الصدام مع الواقع الجاهلي .

أو أن يدع الإسلام وينسلخ منه ويرتد ... ويحارب الله ورسوله ودينه وأمامه الدنيا ... بمناصبها وجاهها ... ورآستها ... وكراسيها ... !

أو يرقع حياته ليعيش منافقاً ويكسب رضا الجميع ، وأكثر المسلمين مع الأسف على هذا النمط .... تجده :

مسلماً بالهوية .

غربياً بالشكل والسلوك .

اشتراكياً أو شيوعياً أو رأسمالياً في الفكر والتصور .

وهكذا وجدت الأمة الإسلامية نفسها في التيه من جراء عزل الدين عن الدولة ففي علاقاتها الدولية ... اتخذت الكفار أولياء تسر وتعلن لهم بالمودة .

وبهذا تخلت عن ولايتها لله ولرسوله ولدين الإسلام ... وتحاكمت إلى الطاغوت ، وأكلت الربا وأحلته لشعوبها حتى صار ضرورة ... كما يزعمون ! فجعلت نفسها في حالة حرب مع الله واستمدت نظمها الاقتصادية من الاشتراكية والرأسمالية وتوزعت بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي وبين خليط من هذا وذاك .

كما سقطت في المجون والخلاعة وروجت الأدب الرخيص ومارست الدعارة .... والغناء الماجن والرقص المختلط .. وصار الإعلام بأشكاله المسموع منه والمرئي والمقروء والمصوّر يخدم العرى والإثارة والمجون .... فلم تعد للأدب الملتزم أي مكانة !!!

. . . .

وهكذا ... وهكذا ... في شئون الحياة .

فلسائل أن يسأل : أين مكانة الإسلام وعلمائه ؟

نعم ... إنه وإياهم هناك . . في زاوية بعيداً عن الحياة ... فما لهم ولحياة الناس !. . . والناس – من هذه النقطة فقط أحرار . لا يريدون أن يفرض عليهم الدين ، أما الاشتراكية فلها الحق أن تُفْرض !!!

فالإسلام مقيم في المسجد والمقابر وقد يشرق على البعض في رمضان ومن لا يجده في بلده فليزره في مشاعر الحج !!

أما علماء الإسلام فهم مشغولون بوظائف دينية ومؤسسات إسلامية ضخمة ! . . أو في المعتقلات والسجون وذلك لمن خرج عن زاويته أو تدخل في حياة الناس .... أو أقحم الدين في السياسة ونظام الدولة !

... وهذا ما يشهد به الواقع ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قضية تحرير المرأة

إن قضية تحرير المرأة من أبرز القضايا العالمية التي أثيرت على كل المستويات ، وولدت كثيراً من المشكلات المستعصية .

وقد نشأت هذه القضية وترعرعت في أحضان الجاهلية الغربية الحديثة وسرت مع امتدادها العالمي .

وبرزت في العالم الإسلامي مع بداية التقليد ونماها الاحتلال وأثارها المنهزمون وأصحاب الأهواء من أبناء المسلمين الذين تلقوا تربيتهم على أيدي (الكفار) ولقد وجدت مرتعاً خصباً في بلاد المسلمين لعوامل كثيرة أهمها : الانحراف عن منهج الله والجهل بالإسلام ... ثم الهوى واتباع الشهوات » « **ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً** » ٢٧ النساء .

فحين اتصل المسلمون بالحياة الغربية الجاهلية ، وخالطوا الكفار رأوا المرأة ... سافرة متبرجة ... مبتذلة ... متحررة من قوامة الرجل .. تشارك الرجل كل شيء ... في العمل والإنتاج .... وتزاحمه في مجالات الحياة العامة .. في المصنع ... والمكتب والمعرض ... وكل مكان .

فحين رأى هؤلاء المرأة الغربية بهذا المظهر — وكانوا على حظ هزيل وضعيف من فهم الإسلام وموقفه من المرأة — حين رأوا ذلك انبهروا به ومن ثم مقتوا المرأة الشرقية ومقتوا من ورائها الإسلام .

ونسي هؤلاء – أو تناسوا – أن الإسلام بريء من الوضع المؤلم الذي تعانيه المرأة الشرقية المسلمة .

ثم نسي هؤلاء – أو تناسوا – أن الإسلام هو الذي حرر المرأة وينادي بتحريرها وتكريمها وتهذيبها ويلقي عليها مسئوليات جساماً لا يستطيع الرجال القيام بكثير منها .

نعم إنهم – وللأسف – حمّلوا الأسلام ما عليه المرأة في العالم الإسلامي من جهل . . وضعف . . وسلبية . . واتخذوا من ذلك (قميص عثمان) .

لذلك جاء هؤلاء – المنهزمون – ينعقون بتحرير المرأة ، لا بالإسلام بل بترك الإسلام وعلى نمط الحياة الغربية (الكافرة) وعلى الأسلوب الذي تعيشه المرأة الغربية (المنكوبة) ونَسوا دينهم وتراثهم وأخلاقهم وتناسوا أن كرامة المرأة بدينها ... بالإسلام الذي أكرمها وعلمها وحفظها من السقوط والرذيلة ... مما وقعت فيه المرأة الغربية (الكافرة)

ثم إنهم – أكثر من ذلك – أغمضوا أبصارهم ، وأعموا بصائرهم عما عليه المرأة الغربية (الكافرة) من الانحراف ... والشذوذ والابتذال ... والفتنة والإثارة ... وانعدام الحياء ... بل وضياع الشرف في الغالب ... وما نتج عن ذلك من ضياع الأنساب ... وخراب البيوت وتفكك الأسر ... وانتشار الفاحشة والجريمة ... وتحطيم قوى الرجل النفسية والعصبية والعقلية وإغراء الشباب وانحرافهم وهدم الكيان الأسري ... وعدم الاستقرار الاجتماعي ... وضياع الأجيال وانفصام عرى الزوجية السعيدة ...

أضف إلى ذلك كله ... كثرة الأمراض الجنسية ... والنفسية ... والعصبية

والاجتماعية ... والصحية الناتجة عن الشذوذ الجنسي وما ينتج عن ذلك ... من القلق والحيرة ... والخواء ... والشقاء ... ثم ... الانتحار .

فبدافع من التقليد الأعمى (المقيت) بدأ الناعقون — المنهزمون — وأصحاب الأهواء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وذووا الأغراض الشخصية بدأ هؤلاء وأولئك في كل أرجاء العالم الإسلامي ينادون بتحرير المرأة ... وما أدراك ما تحرير المرأة ... فهل كان يعنيهم تكريمها وتعليمها وحفظ كرامتها ..؟!

بل نادوا بالسفور ... ونزع حجاب الحشمة ... ومقت الحياء ... والاختلاط بالرجل ... والسعي وراء (المودات) الفاتنة ... والتشجيع على العري والملابس المثيرة .... والتسابق على اجتذاب الرجال ...!

وتشجيعها على الخروج من البيت ... وترك الأسرة ... والأطفال إلى الشارع والمرقص ... والملهى ... والشاطيء ... والملعب ... وإلى أماكن الاجتذاب المغرض ... والفندق ... والطائرة ... وأماكن الاستقبال ... والسكرتاريات...!

... الخ هـــذه السلسلة التي تجري على عربة الأهواء باسم التطوير والإصلاح....! ولننظر الآن إلى المرأة الشرقية المسلمة ... أي كرامة كسبتها من جهود هؤلاء ... نعم إنها نزعت الحياء وتعرّت وأخرجت فخذيها ... واتخذت الأصدقاء والأخدان وانطلقت من قـــوامة الرجل (إلى أين ؟) ورقصت عارية واختلطت بالرجال الأجانب منها ... واجتذبت الزبائن و...

فأي كرامة هذه .... ؟!

. . . .

ومن المؤلم – حقا – أن الأمة لا تزال تسير على هذا الخط المنحرف وتسير بالمرأة إلى الهلكة ... رغم التجارب المريرة .... ورغم المشكلات التي ولدتها هذه القضية ومع أن الجميع يعرف أن الإسلام هو وحده الذي وضع نطاقاً يكفل حرية المرأة ويعطيها كامل حقوقها ... إلا أنها الأهواء والشهوات ... فلا تزال أجهزة التعليم ... والإعلام ... ودور التربية في سائر العالم الإسلامي ... تخدم انحراف المرأة وتباركه ... بكل ما تملك من وسائل ... وقد أدت نتائجها في كثير في الدول الإسلامية فهي لا تزال جاهدة لتخريب ما بقي في بعض الدول التي أبطأت عن اللحاق بالركب .

حركة التشكيك العامة

لقد قام الأدباء والمفكرون والمثقفون والقادة من أبناء المسلمين المعجبون بالغرب الكافر ... الذين تشربت نفوسهم حب (الكفار) وحضارتهم وأصابهم ذلك الانبهار الذي ملك عليهم عواطفهم وتفكيرهم حتى نسوا تاريخهم ودينهم وأمتهم وتراثهم — قام هؤلاء (المنهزمون) بحركة تشكيك عامة .... وإثارة الشبهات حول كل ما يتصل بالإسلام في الواقع ... والحاضر والماضي .. كل منهم حسب اختصاصه ... وبقدر جهده كل منهم على ثغرة من ثغور الشيطان ... وشعبة من شعب الضلال والانحراف .

فالمفكر يشكك بالعقيدة ويثير الشبهات حول الفكر الإسلامي وأصحابه والأديب يشكك في لغة القرآن وينتقصها ويحارب التراث الإسلامي وآخر يشكك في مصادر التشريع الإسلامي ويرميها بالتحجر والقصور والمؤرخ يزور على التاريخ الإسلامي ... ويتجاهل الأمجاد الإسلامية العالية .

ولقي هؤلاء وأولئك التشجيع والدعم حتى تسنموا أعلى الرتب والألقاب في تخصصاتهم فهذا رجل الفكر ... وذاك عميد الأدب ... والثالث أستاذ التاريخ .... والرابع أبو القوانين !!!

... ثم تلاطم الموج فبرز من يشكك أبناء المسلمين — بكل وسيلة — في كل شيء يتصل بالإسلام ... والتاريخ الإسلامي... والحضارة الإسلامية.. ووصل الأمر إلى تشكيك في أصول الإيمان ....

تشكيك في ذات الله ووجوده ... تعالى عما يقولون علواً كبيرا .

وتشكيك في الأنبياء والرسل والأديان والكتب .

وتشكيك في القرآن والوحي ... ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ثم الطعن في الصحابة والسلف الصالح ...

والتشكيك بقيم الإسلام وأخلاقه ... وتشريعه وأحكامه ... والقول بعدم صلاحيته للتطبيق ... وتمييع المفاهيم الإسلامية الأصيلة .

ثم إن هؤلاء المشككين المنهزمين — الذين تتلمذوا على اليهود والنصارى والملاحدة والمشركين — هيأ لهم الاحتلال — الكافر — أن يتولوا مراكز القيادة والتوجيه ويتحكموا في وسائل التربية والتعليم والإعلام ....

فالإعلام بشتى وسائله — في العالم الإسلامي — يخدم هذه الحركات الهدامة عبر الاذاعة ... والصحافة ... والتلفاز ... والسينما ... وعبر القصة ... والمسرحية والرواية ... والحكاية ... والفكاهة ... بل وعبر المؤلفات الضخمة ..

كذلك دور التربية والتعليم والتوجيه في أكثر البلدان تمارس نصيبها من الإرجاف والتشكيك عبر المنهج ... وعبر المعلّم المنهزم .... وينتهي عيبنا في ذلك حين نعرف أن مناهج التعليم والتربية تسير على نفس الأسلوب الذي خططه المحتلون — الكفار — بعد التغييرات الجانبية الطفيفة ...

فأول ما بدأ التعليم النظامي في العالم الإسلامي بالهند على يد الانجليز ... ثم وضع (دنلوب)(١) الانجليزي منهج التعليم في مصر — إبان الاحتلال الانجليزي — ثم سارت أكثر الدول العربية على نفس الخطط (الدنلوبيه) في الغرض والشكل والوسائل ....

(١) انظر مشكلات المجتمع المصري والعالم العربي لعلي عبد الواحد وافي ص : ١١٣

فأنتج لنا هذا المربي :

المربي المنهزم المشكك . . .

والأستاذ المنهزم المشكك . . .

والأديب المنهزم المشكك . . . .

والقائد المنهزم المشكك . . . .

ومن ثم الجيل المنهزم المشكك ... حتى انعكست هذه الانهزامية على كل مرافق الحيـــاة ... السياسية ... والفكرية ... والعلمية ... والعسكرية ... وغيرها .

التربية الجاهلية والتعليم الجاهلي

من أخطر مظاهر التقليد الأعمى للغرب (الكافر) في العالم الإسلامي ظهور التعليم الجاهلي – غير الملتزم بالإسلام . أو اللارباني .... الذي يفصل الدين عن الحياة في الواقع .

فقد أسس التعليم ومناهج التربية في العالم الإسلامي على النظام الغربي في شكله ... وأسلوبه ... ووسائله ... وهدفه وغايته .... بل وفي مادته في بعض الأحيان .

وكثير من البلاد الإسلامية قامت بحذف التعليم الديني !! ... إن صح التعبير أو تخفيفه من المنهج في كل المراحل ليكون مجرد ومضة روحية تذكر الناشيء بدين آبائه ... وهذا ما سلكته معظم الدول الإسلامية التى لم تحذف المواد الدينية بتاتاً ... من أجل أن لا يعرف الناشيء من الدين إلا ما يؤديه أبواه .... أوجداه العجوزان !

أما دراسة تاريخ الأمة الإسلامية وأدبها وتراثها الفكري والمدني وإنتاجها الحضاري .. فمن وجهة نظر الغرب ... وبأسلوب التفكير الغربي وتنقد على التصورات الغربية ... والمقاييس الجاهلية إذْ يُدرس ذلك كله كما يدرس هناك في الغرب تماماً ... بل أكثر المتخصصين والدارسين لهذه الجوانب درسوا هناك ... في أوربا وأمريكا ... حتى تصور الكثيرون أن الدراسة الحقيقية للإسلام ... إنما هي هناك ... في الجامعات الغربية .

فما هي الصورة التي سينشأ عليها الطفل الذي يتربي على هذا المنهج

إنه كما يقول أبو الأعلى المودودي في كتابه (منهج جديد للتربية والتعليم) :

« وإذا ما بدأ الطفل يدرك ما حوله فإن ذهنه وحياته كلها تتشكل في القالب الذي صاغته الحضارة الأوربية — لأن علوم أوربا ومعارفها تنصب في نفسه وعقله ... وتهيمن على أفكاره فلا يجد منظاراً غير منظارها يستخدمه في الملاحظة والتجربة ... ويتبع نفس الوسائل التي تستخدمها في استنباط الحقائق والبراهين»(١) .

ولقد أريد للتعليم — في العالم الإسلامي — أن يكون بعيداً عن مصادره الإسلامية الأصيلة . . القرآن والسنة ... وإنتاج السلف الصالح ... فتربى على هذا المنهج — كما سلف — جيل بعيـــد عن الله وكتابه ورسوله — بعيد عن المنهج الإسلامي الأصيل ... لا يعرف الإسلام إلا في المواقف ! ...

ولا أدل على ذلك من حادثة مؤتمر السلام التي حدثت في هذا العام ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٢ م حين جلس الطرفان — اليهود . . والعرب — أمام حكم الطاغوت — القضاءالجاهلي — فكان وزير خارجية اليهود يذكر آيات من القرآن(٢) !! يستشهد بها على عكس ما تدل عليه ... ولم يرد عليه أولئك الذين يمثلون أمة القرآن في زعمهم !!

وأنا متأكد أن ذلك حدث لأنهم ليسوا على صـــلة بالقرآن .. فإن اليهودي عرف هذه الحقيقةقبل أن يقدم ... وإلا فكيف يذكر أية حجة عليه فيتخذها حجة له وهم صامتون ! ... وهكذا أبناء هذا الجيل يفهمون القرآن على أنه مجرد تراتيل تعبيرية يتلوها الشيوخ !

وينبغي أن لا ننسى أن من أخطر ميزات التعليم الجاهلي في العالم الإسلامي الاختلاط بين الجنسين في كل المراحل ... وهذه البلية أخطر منفذ استطاع

---

(١) عن كتاب — منهج جديد للتربية والتعليم . لأبي الأعلى المودودي ص : ٢٦ .

(٢) منها قوله تعالى « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » طالع تفاصيل ذلك في مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٨١ أول ذي الحجة عام ١٣٩٣ هـ .

المنهزمون من خلاله أن يقضوا على أخلاق الشعوب ... بل على كرامة الأمة وشرفها الأسري المتين .

وهذا ما يريده الغربيون الكفار حينما خططوا لهذه المناهج التربوية وأقاموها في البلاد الإسلامية .

يقول المستشرق الانجليزي جب « السبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب أو الفرنجة هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي وعلى المباديء الغربية وعلى التفكير الغربي والأساس الأول في كل ذلك هو أن يجري التعليم على الأسلوب الغربي وعلى المباديء الغربية وعلى التفكير الغربي هذا هو السبيل — ولا سبيل غيره .

ولقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي ومدى تأثيره على الزعماء المدنيين وقليل من الزعماء الدينيين »(١) .

ويقول أيضاً ؛ إن النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية قد ترك في المسلمين من غير وعي منهم أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد »(٢) .

فبهذا نعرف أن نظام التعليم والتربية في العالم الإسلامي إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة والفضيلة ليس إلا .

فنشأ بذلك جيل مخضرم منفصم الشخصية ... لا هو مسلم ملتزم بالإسلام حقاً . . . ولا هو غربي بجده ... وإنتاجه ... وتصنيعه وكسب الحياة الدنيا .. بل هو جيل يعيش على هامش الحياة !! قد خسر الدنيا والآخرة .

وذلك هو الخسران المبين .

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية — للشيخ أبي الحسن الندوي ص : ١٦٥ — ١٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٤ .

ظاهرة الصراع بين القديم والجديد

من جراء الاندماج بالكفار والإصابة بمرض التقليد برزت بين المسلمين الدعوة إلى التغريب وتغيير الحياة الإسلامية في كل شيء .. باسم التجديد والتحرر ... والتقدم ... والتحضر ... والتمدن ... دون وعي ولا تبصر .. حيث شملت موجة التجديد ! العقيدة والدين والتراث واللغة والتاريخ ! !

ومن هذه النقطة بدأ الصراع بين القديم والجديد ... واستغلته القوى المعادية للإسلام . . .

فبدافع الغيرة على الإسلام من قبل كثير من المخلصين .

وبدافع الغيرة على التقاليد المألوفة والحياة المعتادة من قبل فريق آخر

وبدافع الخوف على المصالح الشخصية من قبل فريق ثالث .

بهذه الدوافع قام هؤلاء بالدعوة إلى المحافظة على القديم بما فيه من دين وأخلاق وعادات وتقاليد – الصالح فيها وغير الصالح – كل بحسب غايته وهدفه وبحسب فهمه وإدراكه .

ونتج عن هذا صراع شديد صارم في المفهوم الجاهلي السائد : صراع بين القديم والجديد .... وهذا الإطلاق له إيحاءات خطيرة ... وتتضح خطورته إذا عرفنا من هم أنصار الجديد ودعاة التجديد ...

إنهم أولئك الذين تربوا في أحضان الغرب (الكافر) أو الذين رأوا مظاهر الحياة الغربية فانبهروا بها – وكانوا على حظ هزيل من فهم الإسلام

ـ وأصحاب الأهواء والشهوات ... والذين يحبون أن تشيع الفاحشة ... والذين نهلوا من مناهل الثقافة الغربية الجاهلية ... ولا ننسى أن النصارى العرب لهم جهود في حلبة هذا الصراع ...

وقد بدأ الصراع أول الأمر عنيفاً ... ومثيراً .... لا سيما في مصر والشام والهند فانشغلت به الأمة الإسلامية وقتاً طويلاً وبرز على مسرح الحياة العامة ....ودخل الحلبة عامة الناس وخاصتهم من يعرف ومن لا يعرف فامتلأت به الصحف والمجلات ... والمنتديات ... والمجالس وكثر أنصار هؤلاء وهؤلاء من كل أصناف الناس .... بينما الأمور تدار من وراء الكواليس وتسير إلى حيث يريد الغرب(الكافر) .

ومن أخطر ما نتج عن هذا الصراع :

ـ أن حمَّل المنهزمون (أدعياءالتجديد) الإسلام تبعة هذا الصراع فأطلقوا اسم القديم على كل ما يمت إلى الإسلام(١)بصِلة ... فأطلقوا عليه وعلى الدعوة إليه وعلى دعاته المخلصين . . . رجعية . . .وتزمت . . . وجمود . . . وتحجر ... !!

وصار المقصود بالجديد ـ حسب هذا المفهوم الشيطاني ـ كل طارىء منقول عن الغرب(الكافر) وأطلقت عليه وعلى دعاته والدَّعوة إليه(٢) ... تجديد ... تنور . . . تحرر . . . . تقدمية . . . الخ من هذه الألفاظ المعسولة .

ـ انقسم الناس في حلبة الصراع إلى أصناف متمايزة وفئات متناحرة ويأتي تفصيل ذلك في الباب الرابع ـ لذلك سأشير إليه هنا باختصار :

صار دعاة التفرنج وأنصار التجديد على طبقتين :

المتزعمون لهذه الحركة عن خبث ومكر وإعجاب شديد بالغرب الكافر.

(١ ، ٢) انظر تفاصيل ذلك في كتاب : الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر للدكتور محمد محمد حسين الجزء الثاني ص : ١٩٠ وغيرها .

والرعاع ودهماء الناس ... وهم كثير ورغبتهم للتجديد لإرواءغرائزهم وشهواتهم وهذا إنما يوفره لهم تيار التجديد الذي وفد معه العري ...والمراقص المختلطة والمسارح ودور البغاء ... والعهر والفجور ... والسكر ...والأنظمة والقوانين التي تبيح ذلك كله وتشجعه وتباركه ...

ومقابل هؤلاء وأولئك دعاة المحافظة والالتزام وهم على ثلاث طبقات **الأولى :** تلك التي تدعو إلى استئناف الحياة الإسلامية الأصيلة .

والطبقة الثانية : إنما تدعو إلى المحافظة على الحياة المألوفة فحسب بما فيها من عادات وتقاليد وانحرافات ...

والطبقة الثالثة : طبقة العامة ... فهم يحبون الدين — بالفطرة — ويألفون التقاليد والعادات التي توارثوها ... ويحبون المحافظة على الأخلاق والشرف ... بل يحبون الله والرسول ... والدين ... والآباء والأجداد ... لذلك كانوا أول الأمر هم الرصيد الضخم لدعاة المحافظة (دعاة القديم) حتى تنبه لهم أصحاب الأهــواء والزعامات فاستغلوهم من هــذه الناحية فلبسوا لهم مسوح الرهبان .... وطلوا دعواتهم الشيطانية بطلاء الدين ... فتحولوا مع الناعقين . . . واجتالتهم الشياطين ...

فتحولت هذه الطبقة . . . إلى رصيد أساسي لأصحاب الأهواء والزعامات وستظل كذلك ... حتى تلقى التوجيه المخلص ... والقدوة الصالحة .... والجهد المركز لصرفها إلى الخير .

ظهور فكرة الحرية والتجرد

فالحرية هي منصة الشيطان التي نصبها له أولياؤه في الداخل والخارج فصارت – الحرية – باباً لكل شر وفساد وكفر ورذيلة ...

وتبلورت في أذهان الجيل الناشيء في العالم الإسلامي ... وتشبع بها الشباب فهي ذريعتهم في كل تصرفاتهم وانحرافاتهم ... ونزواتهم ...

ولقد وفدت هذه البلبلة مع حركة التجديد ... والتنور (أو التغريب والردة بأسلوب أصح) تقليداً أعمى – وأصم – للغرب الكافر ... الذي بهذه الحركة – باسم الحرية – أطلق عنان الشهوات والنزوات ... والفساد .. والجرائم ... وهتك الشرف ... وإباحة الزنى ... واللواط ... وأنواع الشذوذ الجنسي . . وانتهكت الحرمات والأموال والأعراض ... كل ذلك إنما يجري في الغرب باسم الحرية .

إن جهود الكفار متمثلة بالصليبية النصرانية ... والصهيونية اليهودية ... وقوى التبشير والاستشراق والاحتلال ... وغيرها قد استطاعت أن تنفخ هذه الفكرة – الحرية – في أذهان الشباب المسلم بعد أن انقطعت صلته بالتربية الإسلامية ...لتكون قنبلة التحطيم النفسي والفكري ... والعقائدي – لا سيما بعد فشل الوسائل العسكرية – فعل الكفار وأذنابهم في الداخل ذلك بمكر . . ودهاء وتخطيط .... فانفجرت القنابل وأدت دور التحطيم.. ولقد رأينا ... وعشنا ثمارها في قلب العالم الإسلامي ....

فتيارات الردة عن الإسلام تتوالى .... باسم الحرية .

والكفر الصراح يعلن ويفتخر به .... باسم الحرية .

ويكذب – بل يسب – الله ورسوله ودينه ... باسم الحرية .

وتنتهك الأعراض ويفسد الشرف . . . باسم الحرية .

والمرأة تتبرج وتتعرى وتنزع الحجاب وتفتن الرجال باسم الحرية .

يختلط الشباب بالفتيات في كل مكان وبكل مناسبة باسم الحرية .

تتخذ الفتاة الأصدقاء والأخدان والأحباب باسم الحرية .

والكثير يترك فروض الإسلام ويرتكب الفواحش والموبقات .

والكبائر والرذائل باسم الحرية .

والدول تفتح أبوابها لكل شيء ، وتدع الناس يفعلون مايشاؤون في إرواء غرائزهم وشهواتهم باسم الحرية .

ويباح الزني والربا وتعطل حدود الله . وتنزك شريعته باسم الحرية .

فالأمر الهام أن لا يتعرض أحد للدولة (المعصومة) بشيء فهنا لا حرية.

أما من يسب الله ورسوله ودينه والمؤمنين ... فحريته يكفلها (القانون) ولقد صدق القائل : –

يقاد للسجن إن سب (الزعيم) وإن
(سُب [الإ̄له] فإن الناس أحرار(١) !

أما فكرة التجرد فقد ظهرت في طبقات الكتاب والباحثين والمفكرين ونحوهم ... بتأثير من المستشرقين والمفكرين الكفار حيث قالوا : إنه يجب على الكاتب عند ما يكتب والباحث عند ما يبحث عن أي شيء من تاريخه وأدبه وتراث أمته أن يتجرد من دينه وعاطفته فلا مجال للدين هنا ..!!

---

(١) عن ديوان الزوابع لوليد الأعظمي من قصيدة بعنوان (ربيع تموز) ص ٢٠ مع التصرف

أما أفكار أساتذته (الكفار) وأهواؤهم فلا بأس أن يتقيد بها لأنها جاءت من هناك (من الغرب) من الجهة المعصومة عن الخطأ ..!!

فظهرت مؤلفات وبحوث كثيرة عن تاريخ الإسلام وتراثه وأبطاله وأدبه لا تمت إلى الإسلام بصلة بل شوهته .. فكتبت كل شيء عن الإسلام من وجهة النظر الغربية (الكافرة) فهم يفعلون ذلك باسم التجرد ولا يذكرون اسم الله باسم التجرد بينما هم يسبحون باسم الغرب في كل كتاباتهم كما نرى في مؤلفات الدكتور طه حسين.

ومن نهج منهجه من المتحررين !!!

فصار التجرد يعني عند هؤلاء تصديق واتباع كل رأي ومذهب وفكر ونقد .... إلاّ الإسلام.

ظهور الحركات والاتجاهات والمذاهب الهدامة

تلك نتيجة طبيعية لكل ما سلف – من مظاهر التقليد الأعمى للكفار – فحين انتشرت موجة التشكيك ... وراجت الدعوة إلى التغريب (الفرنجة) واستفحلت حركة (الحرية والتجرد ... نشأت في هذا الجو – بل في هذا المعترك – مذاهب وأحزاب وجمعيات وحركات تتبنى الدعوة إلى إقامة ، الحياة الجديدة – في العالم الإسلامي – على نمط الحياة الغربية وتقف من الإسلام موقفاً يمثل وجهة نظر الكفار ، أي أن الإسلام هو سبب التأخر والجهل والفقر .. وهو المسئول عن الاتكالية والجمود... !!!

فبرزت حركات وأحزاب سياسية ... وفكرية ... واقتصادية ... وأدبية وما يجمع بينها أو بعضها أحياناً ... فوقع الناس في دوامة لا يدرون إلى أين يتجهون ولا من يؤيدون ... فلكل وجهة هو موليها ويدعو إليها ويفتخر بها ويتفانى في سبيل خدمتها .

وبما أن هذه الحركات والأحزاب لها الدور الفعال في حركة التقليد الأعمى للكفار ، بل كانت تتسابق في هذا الميدان وتتفاخر بالولاء والتقرّب والتقليد للغرب ... وحتى التي تدعي الوطنية فيها كانت تتبنى إقامة الحياة بالأسلوب الذي تعيشه أوربا الكافرة فسأتناول بعضها – بإيجاز :

— القوميــة(١) :

وتعني الجماعة أو القوم أو الجنس الذين تربطهم رابطة أو روابط من ... الروابط البشرية ، وقد وفدت هــذه الحركة من أوربا عن طريق الاحتلال وقبل الاحتلال بالعدوى والتقليد الأعمى .

إذ أنه في القرن التاسع عشر ثارت روح القوميات في أوربا وكثرت التجمعات القومية — كالنازية — وانقسمت إلى كتل ودول على هــذا الأساس .

وحيث كان المسلمون بعيدين عن منهج الإسلام الصحيح ، فإن الكثيرين منهم كانوا على استعداد لتقبل هذه الفكرة . والكفار كانوا يعلمون أن فكرة القومية هي الكفيلة بتفريق العالم الإسلامي وتمزيقه ... وهي الكفيلة أيضاً بعزل المسلمين عن الدولة العثمانية ، ذلك الشبح الرهيب الذي طالما أقلق الكفار ، ومع شيخوخة هذه الدولة فهم يعلمون أن الإسلام كفيل بأن يعيد إليها الشباب — كما حصل في آخر عهد عبد الحميد — بذلك قرر الكفار الأوربيون أن ينقلوا هذه الحركة — القومية إلى العالم الإسلامي عن طريق المبشرين والمستشرقين . وأهم من ذلك عن طريق المستغربين وأصحاب الأهواء — المنهزمين — من أبناء المسلمين والنصارى الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية . فأقامت الجمعيات السرية لهذا الغرض في تركيا والشام فأخذت تنتشر فكرة القومية التركية بين الشــباب الأتراك وتركز على أصحاب الأهواء وعشاق السلطة والمعجبين بالغرب والحاقدين على الدولة وكذلك العمل في الشام ومصر ، فأوحت إلى العرب بفكرة القومية العربية وضرورة التحرر من الأتراك .... إلى أن انتشرت هذه الفكرة وتقبلها كثير من الناس

(١) للفائدة راجع التفاصيل عن تاريخ هذه الحركة في البلا د الإسلامية في كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . للدكتور محمد محمد حسين . وكتاب القومية في نظر الإسلام لمحمد أحمد باشميل وغيرهما .

وبعض المخلصين على أنها هي الأصل الوحيد الذي يجمع كلمتهم ... ويوحد صفوفهم !

ثم تبلورت القومية إلى أن اتخذها الكثيرون ديناً وعقيدة وأصبحت ذات فلسفة واتجاه ومفاهيم وقفت في وجه الدعوة الإسلامية وصارت نداً لها وعزلت العرب عن المسلمين واستغنوا بها عن الإسلام في حياتهم كلها – السياسية والتربوية والاقتصادية والثقافية والفكرية والأدبية – وباسمها يحكمون ويطالبون بحقوقهم الدولية .... وبها يشرّعون نظمهم ويحددون علاقاتهم .

إلى أن انتهى بها الأمر إلى قوميات كثيرة .... القومية السورية ..... القومية المصرية .... والقومية العراقية – بل وحتى الفرعونية !!!! ... والبعثية ....الخ .

الوطنية :

بانقسام القومية إلى فرق صغيرة برزت الوطنية وتعني الوطن الذي تحكم به الدولة وتحده حدود جغرافية ، وهي أيضاً من جملة الأفكار المستوردة من أوربا (الكافرة) وبعد أن تم احتلال البلاد الإسلامية مزقها المحتلون وقسموها إلى أوطان وأشغلوا كل وطن بشئونه الخاصة واصطنعوا له من القضايا والأحداث والمشكلات ما يشغله عن بقية المسلمين ، بل وأكثر من هذا – أوقعوا المسلمين بالخلافات والمنازعات والعداوات فيما بينهم – فصارت الوطنية رمز الإخلاص والولاء .

والدافع الأول الذي جعل الكفار يهتمون لإشغال المسلمين بالوطنيات هو تفريق الكلمة ... وقطع خط الرجعة على الخلافة الإسلامية التي ينادي بها بعض المصلحين المسلمين – بعد سقوط الدولة العثمانية – فإن الاحتلال العسكري لم يرحل من البلاد الإسلامية إلا بعد أن فرقها إرباً إرباً وأحزاباً

وشعوباً كل حزب بما لديهم فرحون ... وكل شعب مخلص لوطنه فقط وكل وطن لا يجوز له أن يتدخل بشئون الوطن الآخر الداخلية !!!! ولا يتجاوز فرد من أفراده لأي وطن آخر إلا بجواز سفر ... وكلٌ له هوية وطنية وجنسية تخصه .

فحصرت جهود المسمين وطاقاتهم في قطاعات وطنية ضيقة .

ومن الجدير بالذكر أن أول من زرع بذرة الوطنية الجاهلية — أو قل : القبلية الحديثة — هم الانجليز بمصر ولكرومر اليد الطولى في ذلك(١) .... ثم انتقلت بعد إلى بقية العالم الإسلامي فتغنى بها الشعراء وكتب بها الأدباء والكتاب وأنشدها الأطفال وعبدها الكبار ونشئت عليها الأجيال حتى كاد الوطن أن يكون آلهة تعبد من دون الله .

الاشتراكية :

الاشتراكية نظام اقتصادي منبثق عن الفلسفة الشيوعية المادية وهي أنواع كثيرة لست بصدد تفصيلها(٢) .

وهي من المباديء الدخيلة التي خطط لها اليهود(٣) وبذر بذورها المحتلون الغربيون .... ونمتها المخابرات الانجليزية والأمريكية(٤) ...... وغيرها ... حتى قامت على يد عبد الناصر والضباط الأحرار بمصر .... فأعلن عبد الناصر تطبيقها على مستوى الدولة .... وفرضت على الأمة الإسلامية بالحديد والنار وصادرت الحرية قبل مصادرة الأموال .... ولم

(١) انظر تفاصيل ذلك في الاتجاهــات الوطنية في الأدب المعاصر للأستاذ محمد محمد حسين ص : ١٠٨ .

(٢) انظر حكم الإسلام في الاشتراكية للشيخ عبد العزيز البدري ص : ٦٦ — ٦٧ .

(٣، ٤) انظر التفاصيل في كتاب الدبلوماسية والمكيافيلية في العلاقات العربية الأمريكية للدكتور محمد صادق ص : ١٦٨ — ٢٧٢ وما بعدها بالأخص ص : ٢٧٩ .

وراجع أيضاً كتاب لعبة الأمم لـ : كوبلا ند .

يكتف(عبد الناصر) بأن يحرق بها مصر المنكوبة بل حاول فرضها على دول كثيرة ... ونشطت الأحزاب الاشتراكية الأخرى في بقية الدول العربية والإسلامية .... وأجلب لها بخيله ورجله حتى وقع المسلمون في شقاق وانقسامات وخلافات عنيفة بل قامت بين الدول العربية الحروب الطاحنة ..

وحيث أن الشعوب الإسلامية لا تزال عندها ولاء للإسلام وتعلق به فإن الاشتراكيين فد اضطروا بأن يلبسوا اشتراكيتهم ثوب الإسـلام فأخذوا يصدرون الفتاوى !! على أن الاشتراكية من الإسلام وأن الرسول صلى الله عليه وسلم اشتراكي .... وكذلك عمر وأبو ذر – لكنهم يقفون عند عثمان – !! رضي الله عنهم أجمعين فألفت بذلك الكتب وتأولوا نصوص القرآن والسنة وحرفوها لتخضع لماركس ولينين وأخذوا يلوون عنق(١) الإسلام ليكون اشتراكياً أو قل : ليكون ناصرياً !!!

في الوقت الذي يحكمون فيه بغير ما أنزل الله ....

فقد طبقوا القوانين الوضعية ... وأباحوا الربا والزنى والفجور وشجعوا العري ... والاختلاط ... وأفسدوا الشباب المسلم وألغوا الأوقاف الإسلامية.. وأفسدوا التعليم ... وعاثوا بالأرض فساداً ففتكوا بكل من يخالفهم .. فصارت الاشتراكية في كل بلد تعني ... المعتقلات والتعذيب والتشريد والتهريج والفوضى والفقر والتخلف الاقتصادي ... فهي باختصار : هدم لا بناء ، وأنا أحيل القاريء إلى واقعها فليراجع صفحة تاريخ الاشتراكية في ماضيها وحاضرها ... بل ليراجع كتابات أصحابها وأصـدقائها نعم ليراجع كتابات هيكل – كاتب الوحي كما يسمونه – وكتابات توفيق الحكيم – المعلم والصديق الأول – نعم فلتراجع كتاباتهم الأخيرة بعد وفاة عبد الناصر

---

(١) سمعت هذا التعبير في إحدى محاضرات الأستاذ سيد قطب فاستحسنت التعبير به في مثل هذا المقام .

ثم ليطالع الوثائق السياسية العالمية بهذا الصدد والتي ظهرت عن تلك الفترة التي كان بطلها عبد الناصر فإنها خير ناطق وأكبر دليل .

. . . .

وهناك حركات لا تقل خطورة عما ذكرته لكن المقام — في مثل هذا البحث المحدود — لا يتسع للتفاصيل فهناك مثلا : القاديانية والبهائية والبعثية ، والاتجاهات الشيوعية والماركسية والعلمانية وبعض الحركات الهدامة المقنعة تحت شعارات مختلفة أدبية ورياضية وفنية وسياسية وتربوية ..الخ

الباب الرابع

يبحث في

موقف الناس (في العالم الإسلامي) من التقليد

- موقف الناس العام .
- دعاة التقليد والتبعية .

(أ) الذين يدعون إلى ذلك عن مكر وخبث .

(ب) المأجورون وأصحاب المصالح الشخصية .

(ج) الدهماء والرعاع من العامة .

- المحاربون للتقليد والتبعية .

(أ) أصحاب الدعوات والحركات الإسلامية .

(ب) الجهود الفردية .

(ج) المحافظون على القديم وأصحاب المصالح الشخصية .

الموقف العام

العالم الإسلامي كأمة لها كيانها وتاريخها وحضارتها لا بد أن يكون لها في مثل هذه الحالة — حالة التبعية والتقليد — موقف عام توصف به ويسجله التاريخ لها وعليها .

وقبل أن أدخل في تفاصيل مواقف الناس في العالم الإسلامي أمام موجة التقليد والتبعية لا بد أن أصف الموقف العام لهذه الأمة .

إن الأمة الإسلامية — على العموم — واجهت هذا التيار بالسلبية والتخاذل والانهزامية . . . بصرف النظر عن بعض المواقف الإيجابية التي سيأتي ذكرها — .

نعم . . . إن العالم الإسلامي وقف أمام تيار الجاهلية الجارف مكتوف الأيدي . . . أعزل من السلاح الفكري والثقافي والعسكري وذلك — كما ذكرت خلال هذا البحث — عن منهج الله وتخلٍّ عن رسالة الإسلام مصدر قوته وعزته .... إلى أن سقط في أحضان الجاهلية الغربية .... بل في أحضان أعدائه وهو يشعر — أولا يشعر — .

ويتجلى هذا الموقف الاستسلامي للعالم الإسلامي في طريقة صموده أمام التيارات والهجمات والنكبات التي تعرض لها من أعدائه ... كما يتجلى — أيضاً في الأسلوب الذي واجه به مشكلاته الداخلية .... بل يتجلى في موقفه من الإسلام نفسه ... وأضرب لذلك بعض النماذج والأمثلة :

١ – النموذج الأول : موقف العالم الإسلامي من الخلافة الإسلامية :

فحين سقطت الخلافة الإسلامية ترك المسلمون زمام المبادرة . . . . وواجهوا الموقف بأقل مما يستحق رغم خطورته ... ورغم الصيحات التي أطلقها المخلصون لاستئناف الخلافة الإسلامية بالأسلوب الذي يريده الإسلام ويراه أهل الحل والعقد من العلماء والمفكرين والقادة المسلمين .

وأنا لا أنكر أن الأعداء خططوا من الداخل لعرقلة فكرة استئناف الخلافة الإسلامية إلا أن هذا السبب لا يبرؤنا أمام الله ... ثم أمام التاريخ .

٢ – النموذج الثاني : رواج الأفكار القومية والوطنية :

فإن رواج هذه الأفكار بين المسلمين يدل على انهزاميتهم وبعدهم عن روح الإسلام وقبولهم لسياسة التجزئة والتفريق بين شعوبهم وأوطانهم ومن ثم ضعفهم أمام التيارات الغربية الغازية ....

٣ – النموذج الثالث : رضاهم بأخذ النصارى زمام المبادرة في النهضة الأدبية والثقافية :

فإن النصارى حين بدأوا الحركة الأدبية بإنشائهم دور الصحافة والجرائد والمجلات والأندية الأدبية والمؤلفات على الرغم من النوايا السيئة التي تحملها هذه الحركات في مصر والشام – فإن المسلمين قبلوا ذلك . راضين بأن تحتلهم وتتكلم باسمهم وتدخل أفكارهم وعقولهم ... بل أكثر من ذلك ... أخذ العلماء والمفكرون المسلمون في التعبير عن آرائهم وأفكارهم عبر هذه المؤسسات التي يرأسها النصارى ... مع أنه بالإمكان أن يستغني المسلمون عنها ويقيموا صحفاً ومجلات وجرائد إسلامية ويوقفوا المد الصليبي الزاحف أو يقاطعوه على الأقل ... ولكن الأمر بقي كما أراد النصارى .... وحتى الآن وأغلب حركة الصحافة امتداد للمؤسسات» الصليبية التي أقامها النصارى في بعض البلاد العربية المسلمة ...

هذه ثلاثة نماذج نستطيع من خلالهاأن نعرف مدى الموقف العام الذي وقفه المسلمون أمام تيار التبعية والتقليد للكفار.

مواقف النـاس

في العالم الإسلامي من التقليد

انقسم الناس في العالم الإسلامي في مواقفهم من التقليد الأعمى للغرب سلباً وإيجاباً إلى أقسام :

١ – دعاة التفرنج والتقليد .. وهم أصناف :

(أ) الذين يدعون إلى ذلك عن مكر وخبث :

وهذا الصنف يشكل العناصر المنظمة وغير المنظمة التي تسيِّر موجة التقليد والتبعية وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان والدور والأسلوب الذي تقوم به في هذا المجال .

فهناك الأعداد الأصليون الذين يحاولون تقويض الأمة الإسلامية منذ القديم والذين قال الله عنهم : « **لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر** » .

إن هؤلاء هم الكفار على اختلاف أديانهم ونحلهم من يهود ونصارى وملاحدة ومنافقين أصليين ومرتدين وغيرهم ... وارتباط هذا الصنف بالكفار الغربيين ... ارتباط مباشر ... كما أن ولاءهم لهم ولاء أصيل يتضح من مواقفهم السافرة في الدعوة إلى التقليد والتبعية ومساعدة الاحتلال بشتى الوسائل ... ويعرف هذا الصنف باتجاهاته ووسائله الكثيرة والمختلفة أذكر منهـا :

• الدعوة إلى بقاء الاحتلال العسكري في البلاد الإسلامية .

• الدعوة إلى إقامة حكومات علمانية أو شيوعية في العالم الإسلامي .

• الدعوة إلى التغيير والإصلاح بالأسلوب الغربي .

• الدعوة إلى تحرير المرأة بالطريقة التي تحررت بها المرأة الغربية .

• نشر الأفكار الهدامة عبر وسائل الإعلام والصحافة .

• الاتجاهات الأدبية والفنية الماجنة .

• فكرة التشكيك بالإسلام وكل ما يمت إليه بصلة والحط من شأن القيم والأخلاق .

وإن كل اتجاه من هذه الاتجاهات الانهزامية نجد وراءه فئة من هذا الصنف ... وإن دخلته — أحياناً — بعض النماذج المخلصة — عن غفلة منها — فإن ذلك شيء عارض لا يخرق القاعدة العامة .

كما نرى كثيراً من جنس ذلك الصنف وهم الحاقدون التقليديون من أصحاب المذاهب والأفكار الهدامة والآراء الشاذة وكثير منهم من أبناء المسلمين الذين أشربوا في قلوبهم حب الغرب .

(ب) المأجورون وأصحاب المصالح الشخصية :

وهذان الصنفان يمكن أن نسميهما : طبقة النفعيين ... وهم الذين يدعون إلى التقليد ويجرون الأمة إلى التبعية ليضمنوا بذلك مصالحهم سواء كانت مادية أو معنوية .

فمنهم من يتقاضى على ذلك أجراً مادياً من الغرب بأي أسلوب من الأساليب الماكرة التي يصطاد بها الغربيون عملاء لهم .

ومنهم من يكسب بذلك الشهرة والدعاية والتصفيق والتطبيل ... وما أكثر العاشقين للشهرة في هذا الزمان وإن كان على حساب دينهم وحضارتهم وأمتهم ...

ومنهم من يكسب بذلك الرئاسة والزعامة ....

ومنهم من يكسب الجاه العريض والمكانة الاجتماعية ....

وأخطر من هؤلاء تلك الطبقة الطائشة التي تدعو إلى التقليد الأعمى من أجل إشباع رغباتها وشهواتها الخاصة ....

تلك الطبقة التي تدعو إلى السفور والتبرج والاختلاط والمجون ... وتريد أن تحول الحياة إلى ملاعب ... ومراقص ... ومواخير وبارات سكر .... وأن تستنزف طاقات الأمة في سبيل اللهو واللعب .

وآثار هؤلاء واضحة في أسلوب حياتهم الخاصة ... وفي توجيه الحياة العامة التي يديرونها ... فهم – في نظري – أهم رصيد بشري يسخره الغرب وعملاؤه الأصليون في البلاد الإسلامية .

(ج) الدهماء والرعاع من عامة الناس :

وهذه الطبقة لا يمكن أن يحكم لها أو عليها باتجاه معين أو تحيز مباشر ... فهي مع الأقوى والأكثر دعاية ... ومن يعدها بالوعود ... ويمنيها بالخدمات وإصلاح الأحوال – بصرف النظر عن صدق تلك الوعود أو كذبها .. إنما يكفي أن تعلن لها المشاريع والخدمات الكبيرة والمشروعات العظيمة .... والزعامات الوهمية .

إذاً فالرصيد الشعبي الغوغائي لدعاة التبعية والتقليد الأعمى ... هم من عامة الناس وبسطائهم ... فيمدحون فلاناً ويصوتون لصالح فلان ويصفقون ويطبلون لأصحاب الخطب الرنانة والوعود الكبيرة .

وجمهرة هذا الصنف لا يجوز لنا أن نتهمهم بسوء النيات والخبث ــ إنما كما قلت آنفاً ــ ينخدعون بالأساليب الماكرة والدعايات الكاذبة والوعود الوهمية التي يعلنها لهم أصحاب المصالح الشخصية .

ثم لا ننسى أن العالم الإسلامي ــ مع الأسف ــ لا زال يفتقد الوسائل التوجيهية والتربوية الإسلامية الأصيلة التي توجه العامة إلى الخير والبناء والمصلحة العامة .

المحاربون للتقليد والتبعية .. وهم أصناف

(أ) أصحاب الدعوات والحركات الإسلامية :

إن الأمة الإسلامية – بعد عصر الركود – لم تكن عندها القابلية الواعية لبذل الجهود المنظمة والمركزة لاستئناف الحياة الإسلامية الأصيلة ... وبقيت كذلك بعد الانفتاح على الغرب حتى الربع الأول من القرن العشرين – تقريباً – حيث بدأت الجهود الإسلامية تنمو بشكل تنظيمي على هيئة جمعيات ومؤسسات وجماعات وحركات شعبية ورسمية .

وقبل أن أتكلم عن هذه الجهود لا بد أن أستثني بعض الحركات الإسلامية الأصيلة التي ظهرت في عصر الركود وكان لها دور كبير في الحفاظ على الكيان الإسلامي إلا أنها لم تشمل العالم الإسلامي كله ... تلكم هي :

• الحركة الإسلامية التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد والجزيرة العربية .

• الحركة الإسلامية التي قام بها السنوسي في ليبيا وبلاد المغرب – وهي امتداد لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

• حركتا أحمد السرهندي وولي الله الدهلوي – وغيرهما – في الهند ....

فالتفصيل في هذه الحركات لا يدخل في نطاق موضوعنا هذا لأنها جاءت قبل مرحلة الانفتاح المباشر على الحضارة الغربية ، إنما ينبغي أن نجزم أن

هذه الحركات لو دخلت مع الأفكار والثقافات الغربية الغازية في صراع لهزمتها شر هزيمة ... لأنها حركات أصيلة واعية تستمد أصالتها ووعيها من صميم الإسلام ... والإسلام إذ دخل المعركة بمثل أولئك الرجال فلن يهزم أبداً .

أما تلك الجمعيات والحركات الإسلامية التي ظهرت أخيراً فسأعرض لأهم وأبرز ما أعرفه منها :

فأقوى الحركات الإسلامية وأصلبها أمام الحضارة الغربية هي تلك الحركة التي أسسها الإمام الشهيد حسن البنا في مصر وامتدت جذورها في معظم البلاد العربية وهي التي عرفت باسم (الإخوان المسلمون) .

فقد أعلنها « البنا » رحمه الله حرباً إسلامية جريئة صريحة للتبعية بشتى أشكالها ... سياسية ... أو فكرية ... أو ثقافية .... أو عسكرية ... وحرباً للتقليد الأعمى بشتى صوره الضارة .... وربى جيلا من الشباب المسلم القوي الواعي الذي كاد أن يعيد استئناف الحياة الإسلامية الأصيلة ... لولا المكائد التي حيكت وتحاك ضده .

ومثلها حركة الجماعة الإسلامية بالباكستان والهند التي أسسها أبو الأعلى المودودي — متعه الله بالحياة الطيبة — فكانت كذلك حركة أصيلة ... فقد قاد المودودي المعركة الفكرية بين الإسلام والحضارة الغربية الجاهلية بجدارة ونقل الفكر الإسلامي من طبيعة الدفاع السلبي إلى الهجوم والدفاع الإيجابي .

فهاتان الحركتان — في نظري — كانتا ولا تزالان أقوى الحركات والجهود الإسلامية وأثبتها أمام تيار التبعية والتقليد الأعمى ... وميزتهما عن غيرهما أنهما تسلكان المنهج الشمولي لتطبيق الإسلام فلا تهتمان بجانب دون آخر .

غير أن هناك جمعيات ومؤسسات وجماعات — أخرى — شعبيةورسمية تتفاوت جهودها في هذا الجانب قوة وضعفاً ... سلباً وإيجاباً...

• كجمعية الشبان المسلمين بمصر .

• وجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر – أيضاً –

• وجهود علماء الأزهر .

• وكالحركة النورسية في تركيا – والتي أسسها سعيد النورسي –.

• وندوة العلماء بالهند .

إلى غير ذلك من الجماعات التي ساهمت في هذا المضمار .

(ب) بعض الجهود الإسلامية الفردية :

هناك جهود بذلها بعض العلماء والمفكرين المسلمين لصد تيار التبعية والتقليد الأعمى تختلف وسائلها ونتائجها من فرد لآخر أمثال(١) : –

• الأمير شكيب أرسلان : فله في هذا المجال جهود علمية وعملية مشكورة .

• مصطفى صادق الرافعي : وقد حارب التبعية والتقليد الأعمى بقلمه ووقف أمام المستغربين المنهزمين وعلى رأسهم الدكتور طه حسين رافعاً راية الإسلام بكل ثقة واعتزاز ... وبأسلوب أدبي قوي ... وبيان مؤثر .

• أبو الحسن الندوي : كتب كثيراً من المؤلفات والرسائل وألقى الكثير من المحاضرات ناصحاً ومحذراً من مغبة التبعية للغرب الكافر ... وكان كثيراً ما يخص العرب بالنصح والإشفاق لأنهم أهل اللسان العربي الناطقون بلغة القرآن فهم أجدر الناس باستئناف الحياة الإسلامية .

• محمد إقبال : الشاعر الثائر – وقد ساعده اطلاعه على حقيقة الحياة

---

(١) إنما مثلت بهؤلاء مجرد نماذج فردية وقد أترك الكثيرين ممن لهم جهود في هذا المجال أو كانت جهودهم داخلة في إطار الجهود الجماعية التابعة للحركات أو المدارس الجماعية ... أمثال : عبد القادر عوده ومصطفى السباعي وسيد قطب ... ونحوهم .

الغربية ... – حيث عاش هناك وقتاً – وعرف الحضارة الغربية عن فكر وبصيرة ... فأخذ يحارب التبعية ويدعو إلى استئناف الحياة الإسلامية الواعية .

إلى غير هؤلاء من العلماء في أنحاء العالم الإسلامي والذين تتفاوت جهودهم ومساهمتهم... في هذا المضمار سواء الذين اشتهرت أسماؤهم في العالم الإسلامي كله ... أو بقيت محصورة ضمن نطاق دولتهم ومجتمعاتهم .

المحافظون على القديم وأصحاب المصالح الشخصية :

من عادة الإنسان الفطرية أنه إذا ألف شيئاً من الأوضاع أو العادات أو التقاليد أو غيرها كره تغييره أو فراقه سواء كان هذا الشيء سيئاً أو حسناً . ولذلك نجد عند كثير من الناس تعظيماً واحتراماً لكل ما هو قديم .

ومن هذا المنطلق وجدت طبقة من الناس في العالم الإسلامي تحارب التقليد والتبعية والتجديد ... لا لضررها ... ولا لخطرها .... إنما لمجرد أنها شيء جديد ولمجرد أنها ألفت ما هي عليه .

لذلك نجد هؤلاء يحاربون كل ما هو غربي دون وعي ولا إدراك – بصرف النظر عن كونه نافعاً أو ضاراً – إنما لأنهم عاشوا على عادات وتقاليد يعز عليهم تركها وإن كانت ضارة ... ثم إن كثيراً من هؤلاء لا يهمه رأي الإسلام بهذا الصدد .... إنما يحب الإسلام ويحافظ عليه لأنه دين الآباء والأجداد .... ويدافع عنه من هذا المنطلق .... وأكثر هذه الطبقة من العامة والشيوخ .

أما أصحاب المصالح الشخصية فهم أولئك الذين يحاربون التقليد والتبعية لأن لهم منفعة ما في ذلك ... فيتاجرون بمصالح الأمة لذواتهم ... ونماذج هؤلاء كثيرة جداً – مع الأسف – ومنهم بعض الزعماء السياسيين في البلاد الإسلامية وبعض مشايخ الصوفية وأصحاب البدع والخرافات والدجل من غلاة المتصوفة .... ومقدسو بعض الأضرحة الذين لا يعيشون

إلاّ في الظلام ويجمعون حولهم ضعاف العقول والجهلة من العامة ...وأنصاف العلماء الذين يتاجرون بالعلم .... وبعض رؤوس الأموال الذين يستفيدون مادياً من الأوضاع القائمة . . . .

وكل هذه النماذج قد تتسمى بالإسلام وتدافع عنه . . . . وهي في الحقيقة تسيء إلى الإسلام أكثر مما تحسن إليه وتشوه الدعوة الإسلامية أمام الأصدقاء والأعداء .

الخاتمة

أحمد الله الذي بنعمته وتوفيقه تتم الصالحات .

وبعـــد :

فتلك لمحة سريعة كتبتها على عجل ... ومحاولة صغيرة على موضوع التقليد والتبعية وأثرهما على العالم الإسلامي ... مع عرض سريع للأسباب والنتائج ، وبيان حكم الإسلام فيه ... ومواقف الشعوب الإسلامية منه .

. . . .

ولقد ازداد يقيني — بعد هذه المحاولة — بما ذكرته في المقدمة ... من أن بحث هذه القضية جد خطير ولا أستطيع — وأنا طالب — معالجته على المطلوب فهو جدير بأن يهتم به الأساتذة والعلماء والمفكرون في العـــالم الإسلامي .

فالقضية التي يعالجها هذا البحث هي — في نظري — أهم قضية يعيشها المسلمون وأكبر مشكلة تعانيها الأمة الإسلامية بأجمعها .

ثم إنها ذات جوانب كثيرة ومتعددة ، فكل باب من هذا البحث — بل كل فصل فيه — يحتاج إلى مؤلف مستقل لدراسته دراسة موضوعية ... باستقصاء حقائقه ، واستقراء وقائعه وتقديم النتائج والحلول على ضوئها .

لذلك صار جهدي هذا بمثابة العرض السريع ليس إلاّ ، وقد أشرت في المقدمة إلى أسباب اختياري لهذا الموضوع .

. . . .

وعلى الرغم من أني بحثت هذا الموضوع إلا أنني — وأنا أكتب هذا البحث .... وقبل ذلك وبعده — مقتنع تمام الاقتناع أن مشكلة التقليد والتبعية وغيرها من المشكلات التي تعاني منها أمتنا ... كل ذلك لا تحله المؤلفات والأقلام وحدها . ولا الخطب والمحاضرات والكلمات فحسب ، ولاالقراءات والمؤتمرات مهما كثرت ... بل يجب قبل ذلك كله وبعده ومعه العمل الجاد.. والجهاد المستمر ... والصبر الجميل ...

فقد دلت النصوص الشرعية وأثبت التاريخ الإسلامي الطويل أن أمتنا لا تنتصر بالكلام والخطب الرنانة ، ولا تتقدم بالمؤلفات والمجلدات الضخمة ، ولا تعيش على الأماني والأحلام ، ولا تنخدع بالمظاهر والوعود الكاذبة ... وأنها متى استمسكت بالإسلام وحكمته في كل شئون حياتهم فإنما هي أمة عمل ... وجد ... وبناء وتعمير ... وفتوة وبطولات ...

أمة تعمل قبل أن تقول ....

أمة تغيِّر ولا تتغير ...

أمة تبني ولا تهدم . . .

كل ذلك رهين بتطبيقها للإسلام — كما أراده الله — أما إذا بحثت عن العز والرقي من غير هذا الطريق فإنها — لا شك — خاسرة ومنهزمة كما هي الحال الآن .

. . . .

وإن من سنن الله في خلقه أن يجعل قيادة البشرية (الملك) وبناء الحضارة والمدنية (زينة الحياة الدنيا) بيد الأمة التي تستعمل القوى الثلاث — السمع والبصر والفؤاد(١) — وتسخرها . من تعمير الأرض وتشييد الحضارة سواء كانت مسلمة أو كافرة وسواء خدمت بذلك البشرية وسعت لصلاحها وسعادتها وأمنها ، أو سعت لخرابها وشقائها ودمارها .

---

(١) انظر منهج جديد للتربية والتعليم . لأبي الأعلى المودودي ص ١٣ .

وإن كل أمة تعطل هذه القوى الثلاث(١) ولا تسخرها لعمارة الأرض وتشييد الحضارة فإنها لابد أن تقع في أسر الخمول والإخلاد والتبعية كحال المسلمين اليوم فقد سلّموا – آثمين – زمام القيادة العالمية إلى العالم الغربي الكافر ... – اليهودي والصليبي والشيوعي – يقود البشرية المسكينة إلى الهاوية ... إلى الدمار في الحياة الدنيا ... وإلى النار في الآخرة .... وساءت مصيرا ....

وحين ينظر المرء في الحال التي تعيشها الأمة الإسلامية الممزقة ... والحال التي تعيشها البشرية المهددة ... فلا شك أنه سيسأل ويستصرخ : أين طريق الخلاص ؟ ؟ ؟

والإجابة .... :

إنه الإسلام ، الإسلام وكفى ...

ذلك أن الله تعالى لم يخلق البشرية عبثاً ولم يتركها هملا ... ومتى نظرت البشرية إلى الإسلام نظرة صادقة مخلصة فستجد فيه راحتها وسعادتها ...ومع هذا فإني – كما قلت آنفاً – مقتنع بأنا لإجابة على هذا السؤال عملية أكثر منها نظرية وذلك : ... أن البشرية تتطلع إلى المنقذ بصورة عملية واقعية حية تعيش في واقع الحياة وتبرز من خلال السلوك البشري والجهد الإنساني ذاته فهي لا تريد عرض مبادىء وأفكار نظرية ... فلقد تشعبت عليها المبادىء والنظريات والأفكار ....

وهي لا تريد فلسفات معقدة فكم أتعبتها الفلسفات ...

وهي لا تريد حلولاً مثالية خيالية فكم تمنت وحلمت وعادت بالخيبة والخسران .

صحيح إن البشرية تعاني من القلق والشقاء والحيرة والتهديد بالحروب

(١) انظر منهج جديد للتربية والتعليم . لأبي الأعلى المودودي ص ١٣ .

العالمية القاضية ... وصحيح أن الإسلام هو المنقذ الوحيد لها من ذلك ... لكنها – مع الأسف – ترى العالم الإسلامي يعيش كما تعيش هي .... ويعاني مما تعاني هي فلسان حالها يقول ... : فأين الإسلام !!!

إذاً ... فالإسلام يحتاج إلى رجال – بكل ما للكلمة من معنى – أكثر مما يحتاج إلى المؤتمرات ... والقرارات ... والمؤلفات .... والخطب و . و.

والإسلام الآن – ومن ثم العالم الإسلامي – لا يرجع إليه عزه ومجده إلاّ برجال ... وتضحيات غالية ... وجيل يحمله ... ومجتمع يقيمه، ودولة تحميه وتجاهد في سبيله .... ولا تتاجر به ...

نعم .... !!!

إن الإسلام ليس مجرد نظريات محتملة للخطأ والصواب ....

وليس مجرد حلول مثالية غير قابلة للتطبيق الواقعي ...

وليس مجرد نظم واجتهادات بشرية تدخلها الأهواء والضعف الإنساني.

وليس مجرد عبادات وطقوس تقام في المساجد والمناسبات الدينية ....

بل إنه دين الله ...

فهو : تجربة تاريخية واقعية ثابتة سامقة .

وهو : حلول وإصلاح وبناء ... وعمل ... وتعمير ... وجهاد متواصل ... يقوم بجهد الإنسان المؤمن .

وهو : نظم وتشريعات إلهية تستمد من الوحي الذي لا يأتيه الباطل ...

وهو : منهج للحياة من كل جوانبه ... دين ودولة ... عبادة وقيادة .. محراب ومصنع . . علم وعمل ... جهاد وسلم .... وكل ما تنشده البشرية من خير وبناء وسعادة .

وعودة البشرية إلى الإسلام – بعد هذا العناء الطويل – ضرورة حتمية.. فهي لا بد تعي هذه الحقيقة ... فقد بدأت تظهر بوادر هذه العودةسواء

أدرك الناس هذه الحقيقة أم لم يدركوها .. إنما لا يستطيع أحد أن يقول : أين ومتى وكيف ؟؟؟

أسأل الله سبحانه وتعالى ــ أن يتقبل مني هذا الجهد الضعيف ، وأن يأخذ بأيدي المسلمين جميعاً إلى سبيل مرضاته ، وأن ينقذهم مما هم فيه إنه على كل شيء قدير ....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

المراجع والمصادر

اسم الكتاب المؤلف الطبعة أو الناشر

١ - القرآن الكريم

٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي . دار مطابع الشعب

٣ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي . مطبعة المدني عام ١٣٨٤ . الطبعة الأولى .

٤ - فتح القدير - الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي بن محمد الشوكاني الطبعة الثانية عام ١٣٨٣ هـ شركة البابي الحلبي بمصر .

٥ - في ظلال القرآن . سيد قطب . الطبعة السادسة

٦ - الجامع الصحيح . الإمام الطبري . أكثر من طبعة

٧ - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح . الحسين بن المبارك . دار الإرشاد بيروت

٨ - صحيح مسلم . الإمام مسلم بن الحجاج القشيري . طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر وغيرها

٩ - مختصر صحيح مسلم . الحافظ المنذري بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الأولى عام ١٣٨٨ هـ .

١٠ - المسند - مع شرحه . للإمام أحمد بن حنبل وشرح أحمد محمد شاكر .

١١ - سنن أبي داود . الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني . لعام ١٣٧١ .

١٢ - صحيح الترمذي . الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الطبعة الأولى ١٣٥٣ مطبعة الصاوي .

١٣ - جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي . الإمام الترمذي . والشرح للعلامة أبو العلي محمد عبد الرحمن الباركفوري . . طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة أو الناشر

١٤ — اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم . الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني تحقيق محمد حامد الفقي الطبعة الثانية لعام ١٣٦٩ هـ مطبعة السنة المحمدية .

١٥ — سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . محمد بن إسحاق المطلبي .

١٦ — لسان العرب المحيط : العلامة بن منظور . نشر دار بيروت ١٩٧٠م ١٣٨٩ هـ

١٧ — فاكهة البستان : الشيخ عبد الله البستاني . المطبعة الأمريكانية بيروت لعام ١٩٣٠ م

١٨ — محيط المحيط المعلم بطرس البستاني . نسخة طبق الأصل لطبعة عام ١٨٧٠ م

١٩ — المعجم الوسيط : الأساتذة : ابراهيم مصطفى ، محمد على النجار ، حسن الزيات . مطبعة مصر لعام ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

٢٠ — الوسيط في أصول الفقه الإسلامي . وهبة الزحيلي . الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ دار الفكر بيروت .

٢١ — فتح المجيد — شرح كتاب التوحيد . عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ . الطبعة السابعة ١٣٧٧هـ

٢٢ — مسائل الجاهلية مع شرحها . الأصل للشيخ محمد بن عبد الوهاب والشرح للعلامة محمود شكري الألوسي .....

٢٣ — التقليد : رسالة : الأستاذ محمد أسد . مكتبة المنار — الكويت .

٢٤ — الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر . د / محمد محمد حسين . الطبعة الثانية دار الإرشاد عام ١٣٨٩ هـ .

٢٥ — نحن والحضارة الغربية : أبو الأعلى المودودي طبعة دار الفكر .

٢٦ — الإسلام في مواجهة التحديات : أبو الأعلى المودودي . الطبعة الأولى عام ١٣٩١ نشر دار القلم

٢٧ — الحجاب . أبو الأعلى المودودي : طبعة دار الفكر .

٢٨ — منهج جديد للتربية والتعليم : أبو الأعلى المودودي . دار النذير ببغداد .

٢٩ — الإسلام والحضارة الغربية . د/محمد محمد حسين . طبعة دار الإرشاد ودار الكتب ببيروت

٣٠ — الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية . أبو الحسن الندوي الطبعة الثانية الدار الكويتية عام ١٣٨٨ هـ .

٣١ — ردة ولا أبا بكر لها : أبو الحسن الندوي .

٣٢ — مقدمة ابن خلدون : العلامة عبد الرحمن بن خلدون . دار إحياء التراث العربي ببيروت

٣٣ — إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي . طبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٧٧ هـ .

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة أو الناشر

٣٤ – رسائل البنا : حسن البنا . دار الأندلس .

٣٥ – وحي القلم . مصطفى صادق الرافعي . الطبعة الثانية نشر دار الكتاب العربي ببيروت .

٣٦ – مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي . مالك بن نبي . نشر دار الفكر .

٣٧ – جاهلية القرن العشرين . محمد قطب . الطبعة الأولى مكتبة وهبة ١٣٨٤ هـ .

٣٨ – المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام . محمد محمود الصواف . الطبعة الأولى . مكة ١٣٨٤ هـ .

٣٩ – الغارة على العالم الإسلامي . تأليف : أ . ل شاتليه تعريب محب الدين الخطيب — وعبد الصبور شاهين .

٤٠ – الاستشراق والمستشرقون . مصطفى السباعي . الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ .

٤١ – جند الله ثقافة وأخلاقاً . سعيد حوي . الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ .

٤٢ – مستقبل الثقافة في مصر . طه حسين . طبعة دار المعارف بمصر .

٤٣ – مشكلات المجتمع المصري والعالم العربي في ضوء العلم والدين . علي عبد الواحد وافي . طبعة دار الأوقاف المصرية ١٣٧٩ هـ مطابع دار الكتاب العربي . .

٤٤ – ديوان الزوابع (شعر) . وليد الأعظمي . الطبعة الثانية عام ١٣٩٢ هـ

٤٥ – لعبة الأمم . مايلز كوبلاند ، تعريب مروان خير . دار الفتح للطباعة والنشر .

٤٦ – الإنسان ذلك المجهول . الكسيس كاريل ، تعريب شفيق أسعد فريد . مؤسسة بيروت ١٩٧٤ .

٤٧ – مجلة المنار – مجلدات – محمد رشيد رضا – مصر .

٤٨ – مجلة المجتمع – تصدر في الكويت – جمعية الإصلاح الاجتماعي .

٤٩ – مجلة البعث الإسلامي – تصدر في الهند – ندوة العلماء .

٥٠ – الدبلوماسية والمكيافيلية .

٥١ – حكم الإسلام في الاشتراكية . الشيخ عبد العزيز البدري .